AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2162) - السنة (52) ربيع الآخر 1443هـ / 1 ديسمبر 2021م

د. مبارك الناهض

أستاذ التاريخ السياسي:

تاريخ العفو السياسي بالكويت خير شاهد على علاقة الأسرة الواحدة

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

الإصلاح السياسي..

طريق الاستقرار والنهضة

د. عمر قورقماز:

بعد 2023 ستكون تركيا أكثر قوة واستقلالاً

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

جمعية التكافل
لرعاية السجناء

الأمانة العامة للأوقاف
Kuwait Awqaf Public Foundation

هيئة حكومية مستقلة
INDEPENDENT GOVT. AUTHORITY
دولة الكويت

حملة

إمنحهم تعليماً

لتكفل بمصاريف مدارس أبناء أسر السجناء

تبرع الآن عبر الخدمات التاليه

altkaful.com 949064060

اشترك أو جدد

المجتمع

داخل الكويت: 10 د.ك

الدول العربية: 17 د.ك

الدول الأجنبية: 25 د.ك

المؤسسات والشركات: 30 د.ك

شاملة عمولة التحويل

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2162) - (السنة 52)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم حمد القحطاني

نائب رئيس التحرير:

مرزوق فليج الحربي

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني:

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

الإصلاح السياسي.. طريق الاستقرار والنهضة

- الكويت تستنفر لمواجهة المتحور «أوميكرون» 6
- هل راحت معالم الكويت التاريخية ضحية الافتتان بالحداثة؟ 8
- الشاهين: نأمل أن يكون العفو الأميري مقدمة لمسيرة الإصلاح السياسي بالكويت 12
- العسكر.. هم الباب الخلفي للحكم الاستعماري 26
- «المجتمع» تحاور الحاجة عبلة تهامي.. «شخصية العام» بأستراليا 42
- عملية القدس.. دلالات الزمان والمكان والمنفذ والسلاح 52

مقالات

خيبر والكرامات! — د. يوسف السند — 11

مدخل السفينة.. رؤية مجتمعية وحضارية — د. سيف عبدالفتاح — 50

سُبل تفعيل مبدأ الشورى في الشعوب الإسلامية — د. علي الصلابي — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

آية العدد

﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّه عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

(هود)

الإصلاح السياسي.. ونموذج الدولة الإسلامية

«الإصلاح» في ديننا ليس سياسياً فقط؛ بل هو أمر شرعي وفكري وتنموي واقتصادي وقيمي، وهو في أي دولة ليس قراراً فردياً؛ بل هو قرار رئاسي من رئيس الدولة ومن الشعب عبر مؤسساته السياسية؛ فانتقال الدولة من حال إلى حال، ومن سياسة إلى سياسة أخرى قرار يحتاج لمشاركة شعبية ورسمية؛ لذا نرى بعض الدول تفرض الاستفتاء العام عند أي قرار مصيري، وتطرح هذا الاستفتاء للشعب وتبني قراراتها بناء على الرغبة الشعبية.

ويجدر بنا أن نؤكد هنا أن الإصلاح السياسي ليس بدعة في ديننا، بل هو جزء من شريعتنا وفكرنا الإسلامي؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما أسس مجتمع المدينة المنورة، وبنى الدولة أسسها على مبادئ إصلاحية تحفظ كيان الدولة، ومنها أنه صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار، ليضمن إقامة دولة متساوية اجتماعياً لا توجد فيها طبقية، كما عقد النبي صلى الله عليه وسلم المواثيق والاتفاقيات بينه وبين اليهود الذين كانوا يشاركون المسلمين المدينة، ولم يقم بطردهم أو نفيهم أو إقامة المذابح للتخلص منهم؛ بل أعطاهم حقوقهم كاملة.

وفي سبيل إقامة الدولة على دعائم خارجية راسخة، كتب نبينا عليه أفضل الصلوات والسلام الرسائل للتبشير بدعوته، وأسس السرايا والرايات، وأقام المسجد ليكون ملتقى المسلمين، وجعله دار عبادة بالدرجة الأولى، ودار قضاء، ومنه تخرج الجيوش والسرايا، كما جعله محل إقامة للفقراء المسلمين.. وغيرها من الأدوار الحضارية للمسجد.

والتشريع الإسلامي أفرد أبواباً كثيرة في السياسة الشرعية؛ لتعزيز دور الإسلام في بناء الدولة، ومنها وضع شروط الحاكم، وكيفية اختياره، وطرق تعامله مع رعيته، وسنت الشريعة الأحكام والعقوبات لحفظ المجتمع، كما أن الشريعة الإسلامية لم تهمل الجانب الاقتصادي الذي يعزز استقرار المجتمع؛ ففرضت الزكاة لتؤخذ من الأغنياء للفقراء، وحثت على الصدقة للسبب ذاته، وهذا ليس مدعاة للكسل؛ بل إنها حثت على العمل والإنتاج، وذمت البطالة والكسل؛ وجعلت العمل من السنن التي يؤجر عليها المسلم.. وهذه الأمثلة غيض من فيض وسطر في كتاب من جمال التشريع الإسلامي في بناء الدولة.

لذا، يجب ألا ننظر إلى الإصلاح السياسي والبناء السليم للدولة على أنه انتخابات رئاسية أو انتخابات مجلس أمة أو مجلس شعب أو حل أزمة سياسية هنا وهناك فحسب؛ بل هو بناء دولة تحقق مبدأ الرفاهية للمواطن ليعيش في جو من الحرية والرفاه الاجتماعي.

وانطلاقاً من استشعارنا لأهمية هذا الأمر في هذه المرحلة المهمة في تاريخ الأمة، رأينا في مجلة «المجتمع» أن نطرح موضوع الإصلاح السياسي ملفاً للعدد، خاصة أن العالم العربي والإسلامي يمر بفترات انتقالية ومعيشية في كثير من الدول؛ فمن انتخابات رئاسية مرتقبة في ليبيا، إلى انقلاب رئاسي في تونس، إلى تحالفات جديدة في تركيا ودول الخليج ولبنان، إلى انقلاب في السودان.. كل هذا يحدث في جو من الأزمات الاقتصادية التي تقف وراءها عدة أسباب، منها انخفاض أسعار النفط.■

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

الكويت تستنفر لمواجهة المتحور «أوميكرون»

إيقاف رحلات الطيران التجارية المباشرة مع 9 دول أفريقية

الوضعان الصحي والغذائي مستقران ولا إغلاق للمطار أو الحدود البرية والبحرية

«الوزراء»: لا تهاون في الاشتراطات.. والجرعة الثالثة للحماية من المتحورات

ما إن بدأت الحياة تعود إلى طبيعتها في أنحاء العالم مع قرب نهاية مأساة «كورونا»، أعلنت منظمة الصحة العالمية، أواخر نوفمبر الماضي، عن متحور جديد للفيروس أطلقت عليه اسم «أوميكرون»، رصد لأول مرة في دولة جنوب أفريقيا، وصنفته على أنه «مقلق»، كما أعلنت دول أوروبية رصد إصابات به.

ومع ظهور المتحوّر الجديد في جنوب أفريقيا، بالتوازي مع اتخاذ دول المنطقة والعالم إجراءات عاجلة بمواجهته، قرر مجلس الوزراء الكويتي، اعتباراً من 28 نوفمبر الماضي وحتى إشعار آخر إيقاف رحلات الطيران التجارية المباشرة مع 9 دول أفريقية، هي جنوب أفريقيا وناميبيا وبوتسوانا وزيمبابوي وموزمبيق وليسوتو وإسواتيني وزامبيا وملاوي، باستثناء طائرات الشحن الجوي.

وقال مجلس الوزراء، في بيان، عقب اجتماع لجنة طوارئ «كورونا»: إن الحجر المؤسسي يطبق على المواطنين القادمين من تلك الدول المذكورة آنفاً لمدة 7 أيام، مع عمل فحص «بي سي آر» عند الوصول، وفي اليوم السادس من الحجر، وذكر أنه يمنع دخول البلاد للمقيمين القادمين من تلك الدول ما لم يقيموا خارجها مدة 14 يوماً على الأقل.

ودعا مجلس الوزراء المواطنين لتجنب السفر في الوقت الراهن إلا في حالات الضرورة، خاصة إلى الدول التي ظهرت بها حالات من السلالة الجديدة لفيروس «كورونا».

من ناحيته، طمأن نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع رئيس اللجنة الوزارية لطوارئ كورونا الشيخ حمد جابر العلي، بأنه «لا إغلاق لمطار الكويت الدولي ولا الحدود البرية والبحرية الكويتية».

الوضعان الصحي والغذائي

وفي تصريحات نقلتها «وكالة الأنباء الكويتية» (كونا)، عقب اجتماع اللجنة الوزارية لطوارئ «كورونا»، قال العلي: إن اللجنة تدارست الخطوات المتعلقة بتطورات ظهور المتحور الجديد في بعض الدول الأفريقية والقرارات الموصى بها بهذا الشأن، مؤكداً أن هناك خطوات يجب على الجميع اتخاذها سواء الموجودين داخل الكويت أو خارجها وسيعودون إليها.

وشدد الوزير الكويتي على أن الفيروس المتحور خطير، وجميع الدول اتخذت إجراءات إغلاق وإيقاف الرحلات إلى بعض الدول في القارة الأفريقية، وهو ما أوصت به اللجنة.

من جهتها، شددت الإدارة العامة للطيران المدني على ضرورة التقيد بالإجراءات والاشتراطات الوقائية لجميع الركاب القادمين والمحولين إلى الكويت، وضرورة تقديم شهادة فحص «بي سي آر» سلبية، والالتزام بإجراءات المحصنين وغير المحصنين قبل الوصول.

وأكد مجلس الوزراء الكويتي استقرار الوضع الصحي في البلاد، داعياً المواطنين والمقيمين كافة إلى عدم التهاون في تنفيذ الاشتراطات الصحية ولا سيما لبس الكمام بعد اكتشاف المتحور «أوميكرون» في عدد من الدول الأفريقية.

وشدد المجلس، في بيان نشره على حسابه الرسمي بموقع «تويتر»، عقب اجتماع استثنائي عقده في 28 نوفمبر الماضي، بقصر بيان، على أهمية الحصول على الجرعة التنشيطية الثالثة من اللقاح المضاد لـ«كورونا» للحماية من متحورات الفيروس حفاظاً على صحة الفرد والمجتمع.

وطمأن وزير الصحة الشيخ د. باسل الصباح مجلس الوزراء بشأن الوضع الوبائي في البلاد خلال عرض قدمه حول تطورات الوضع الوبائي العالمي، حيث أكد خلو العناية المركزة في المستشفيات من مرضى «كورونا»، وانخفاض نسبة الإصابة بالفيروس.

وأحاط الوزير المجلس علماً بأهمية اتخاذ الإجراءات الوقائية والاحترازية للقادمين إلى الكويت من بعض الدول، وتحديث إجراءات الحجر الصحي للقادمين للبلاد، وذلك للحفاظ على المؤشرات الإيجابية في هذا الشأن.

وقال الوزير الصباح: المعلومات ما زالت أولية، والعاملون في وزارة الصحة يتابعون تلك التطورات، وهناك عدة تساؤلات ننتظر الإجابة

عنها، منها مدى سرعة انتشار الفيروس المتحور ومدى قوته ومقاومته للقاحات أو المناعة الطبيعية عن طريق الإصابة السابقة.

فيما شددت مصادر في وزارة التجارة والصناعة على أن الكويت لديها مخزون غذائي إستراتيجي ضخم يزيد على أكثر من 6 أشهر، كما أن هناك تعليمات لاستيراد أي سلعة تنقص في السوق المحلية لسد حاجة المواطنين والمقيمين، فضلاً عن زيادة كمية المخزون التموينى في أفرع التموين.

إجراءات احترازية

في ذات السياق، أهابت سفارات دولة الكويت في عدد من الدول الأوروبية برعاياها ضرورة الالتزام بالإجراءات الاحترازية التي تتخذها سلطات تلك الدول، ودعت سفارة الكويت بالمملكة المتحدة المواطنين القادمين إلى بريطانيا اعتباراً من 30 نوفمبر إلى الالتزام بالتعليمات الجديدة التي تقضي بإجراء فحص «PCR» في اليوم الثاني من الوصول.

وقالت السفارة، في بيان: إنه بات إجبارياً على المسافرين القادمين إلى بريطانيا سواء المحصنين أو غيرهم أخذ فحص «PCR» في اليوم الثاني من وصولهم، مع الالتزام بالحجر المنزلي حتى صدور نتيجة سلبية من الفيروس وبخاصة من المتحور الجديد لفيروس «كورونا» (أوميكرون).

وذكر البيان أنه يتعين على جميع القادمين تسجيل بياناتهم الشخصية في موقع الحكومة البريطانية الذي سيتم تزويدهم به عبر شركات الطيران الناقلة لهم قبل الرحلة بـ48 ساعة الذي يتضمن حجز موعد لإجراء اختبار «PCR».

وأكدت السفارة ضرورة التزام المواطنين القادمين بارتداء الكمامات في وسائل النقل العام وداخل المحلات التجارية باستثناء المطاعم والمقاهي.

وأشار البيان إلى التعليمات الجديدة الصادرة التي تستوجب على جميع المخالطين لمصاب بمتحور «أوميكرون» بعزل أنفسهم مدة 10 أيام.

كما دعت سفارة الكويت في «لاهاي» رعاياها في هولندا إلى ضرورة اتباع الاشتراطات الصحية واتخاذ جميع التدابير الاحترازية بعد إعلان السلطات المحلية تطبيق إجراءات إضافية للحد من انتشار فيروس «كورونا».

من ناحيتها، أوضحت سفارة الكويت لدى النمسا أنه نظراً لارتفاع معدلات الإصابة بفيروس «كورونا»، فقد اتخذت الحكومة النمساوية إجراءات احترازية ومنها حظر دخول السياح إلى أراضيها.

وأهابت السفارة بالمواطنين الراغبين بزيارة النمسا خلال هذه الفترة تأجيل سفرهم، فيما دعت المواطنين الكويتيين المتواجدين حالياً في النمسا إلى اتباع الإجراءات الصحية التي أعلنت السلطات المعنية عنها.

وتشهد الكويت منذ عدة شهور تراجعاً كبيراً في عدد الإصابات والوفيات بسبب «كورونا»، مما عجل العودة إلى الحياة الطبيعية مع أخذ الاحتياطات الوقائية اللازمة، وذلك بالتوازي مع ارتفاع نسب التطعيم وبدء السلطات الصحية في تقديم الجرعة الثالثة من اللقاح المضاد لـ«كورونا»، فضلاً عن تطعيم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و15 عاماً.■

الكويت

نظرات في كتاب «معالم مدينة الكويت القديمة»..

هل راحت معالم الكويت التاريخية ضحية الافتتان بالحداثة؟

شيخن البان

أصدر مركز البحوث والدراسات الكويتية، مؤخراً، كتاب «معالم مدينة الكويت القديمة» في ثلاثة أجزاء، بهدف الكشف عن تاريخ مدينة الكويت القديمة ومعالمها المختلفة، من أجل تعريف الأجيال الحالية والقادمة على الأماكن التي عاش فيها الآباء والأجداد، وإطلاعها على طرق معيشتهم وما تكبّدوه من ضنك العيش والسعي في طلب الرزق، ومن ثَمَّ التأكيد على ضرورة المحافظة على المعالم القديمة التي تعكس الذاكرة التاريخية لدولة الكويت.

ويمكننا أن نقول دون أدنى شك: إن هذا الكتاب نجح -من خلال أجزائه الثلاثة- في تحقيق هدفه المنشود؛ حيث قدم صورة الجغرافية التاريخية لدولة الكويت بجميع أبعادها السكانية والعمرانية، وتوزيع الأنشطة المختلفة المتعلقة بحياة الناس كمواقع الأسواق والمؤسسات الحكومية والميناء وغير ذلك، كما قدم صورة اجتماعية تاريخية عن أسماء السكان وجيرانهم والسكك المختلفة، والنافذ منها وغير النافذ، والساحات بين المنازل (البرايح).

الكتاب نجح بتقديم صورة الجغرافيا التاريخية بجميع أبعادها السكانية والعمرانية والأنشطة المختلفة

فريق العمل حرص على التعريف بمعالم كل محلة وفريج وتبيان الحدود الجغرافية من مختلف الجهات

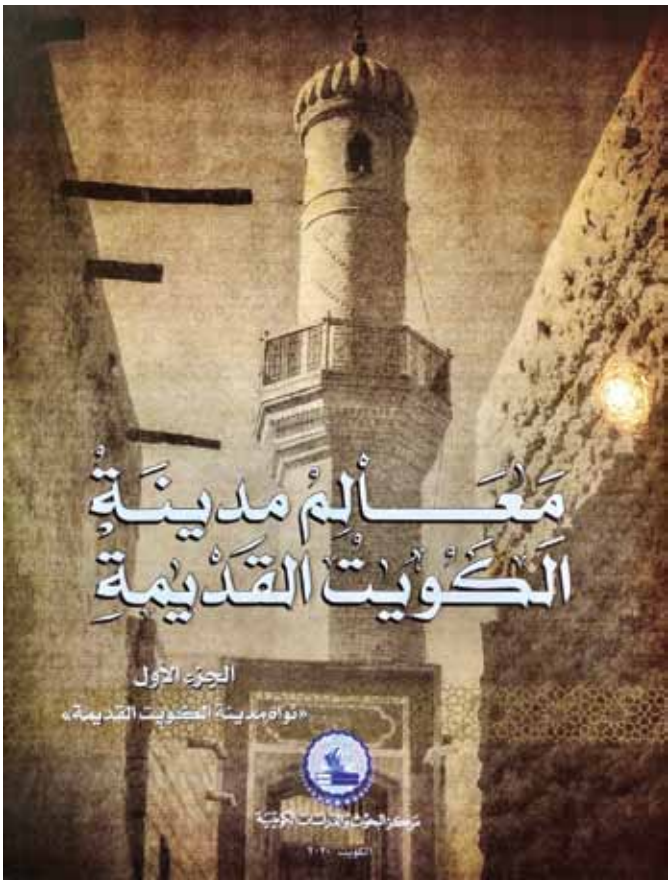

وفي هذه المقالة، سنقدم نبذة موجزة عن كتاب «معالم مدينة الكويت القديمة» الذي صدر الجزء الأول منه عام 2020م، في حين صدر الجزآن الثاني والثالث عام 2021م.

أهمية الكتاب:

يأخذ كتاب «معالم مدينة الكويت القديمة» أهميته البالغة وقيمته العلمية من كونه يعرّف الأجيال الحالية والقادمة -ممن لم يرَ مدينة الكويت القديمة- على المكان الذي عاش فيه الآباء والأجداد، وبالتالي فهو يدعو إلى ضرورة المحافظة على المدن القديمة بكل معالمها من أحياء وبيوت وشوارع وأزقة وأسواق وأسوار وآبار وغيرها، ولا شك أن المحافظة على المدن القديمة ومعالمها المختلفة تعتبر «أفضل سُبُل حماية الهوية الوطنية وإثبات وجودها التاريخي والحضري»، كما تقول ديباجة هذا الإصدار المميّز حقاً.

لقد صرّح القائمون على هذا العمل المنهجي بأن معالم مدينة الكويت القديمة -التي تقع داخل حدود سور الكويت الثالث الذي تم إنشاؤه عام 1920م- قد أزيلت ضمن سلسلة من عمليات الهدم وإعادة البناء من أجل تطوير المدينة وتحديثها؛ حيث بدأت عملية الهدم وإعادة البناء منذ تصدير النفط وبداية التثمين في أواخر الأربعينيات، ويبدو أن عمليات الهدم تلك كانت بداية لخسارة فادحة في نظر البعض، ولهذا حرص مركز البحوث والدراسات الكويتية على إصدار كتاب «معالم مدينة الكويت القديمة» من أجل تدارك الأمر وتعويض جزء من تلك الخسارة الفادحة، وقد أشرف على هذا العمل المنهجي التاريخي فريق من الباحثين الخبراء في معالم مدينة الكويت، ونجحوا في استظهار مدينة الكويت القديمة وأبرز معالمها التاريخية من خلال التنقيب في الوثائق الشرعية والسجلات الحكومية القديمة والصور الفوتوغرافية.

خريطة الكتاب:

صدرت الأجزاء الثلاثة للكتاب واحداً تلو الآخر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية، وقد اهتم كل جزء بجانب معيّن من معالم مدينة الكويت التاريخية المختلفة؛ حيث ركز

www.mugtama.com

مدينة الكويت القديمة راحت ضحية للافتتان بالحداثة بعد ظهور النفط

المعالم التاريخية كانت ستشكل إرثاً حضارياً ومعلماً سياحياً يشهد على عراقتها

الجزء الأول على الكشف عن نواة مدينة الكويت القديمة، فتحدث عن محلة مسجد ابن بحر (الإبراهيم)، ومحلة مسجد العبدالجليل وبراحة السليم، ومحلة مسجد العدساني (فريج العداسنة)، ومحلة الزبن وسكة الربان، ومحلة المناخ، ومحلة مسجد سرحان والعنجري، في حين تناول الجزء الثاني فريج الشيوخ وفريج غنيم وفريج سعود والشارع الجديد، أما الجزء الثالث فيبحث في تاريخ وجغرافية محلة مسجد الفهد، ومحلة سكة عنزة، ومحلة العتيقي، ومحلة مسجد السوق، ومحلة مسجد الحداد، ومحلة وفريج العوازم، ومحلة بودي والمعيلي.

وقد حرص فريق العمل على التعريف بمعالم كل محلة وفريج وتبيان الحدود الجغرافية من مختلف الجهات، وتضمن الكتاب مصطلحات عمرانية عديدة لمدينة الكويت تم وضعها في الصفحات الأولى من كل جزء من الأجزاء الثلاثة، ولعل من أهم تلك المصطلحات العمرانية الكويتية: الأسكِلَة (رصيف الميناء)، وبخَّار (المستودع)، وخفيز (مكاتب التجار)، والدروازة (البوابة الكبيرة)، وعاير (زوايا الطريق)، وفريج (الحي أو الحارة)، ومحلة (الحي المشهور باسم أهله)، ومَسكف (ممر)، واللايحة (الجانب)، والمسيل (مجرى السيل)، والنُّقْعَة (مرسى السفن)، والكُبَر (أكواخ أو بيوت صغيرة مصنوعة من سعف النخيل والخشب).

منهجية الكتاب:

ويبدو جلياً أن الفريق الذي أشرف على إنجاز هذا المشروع العلمي المنهجي اعتمد على مجموعة من السجلات الشرعية والسجلات الحكومية القديمة والصور الفوتوغرافية المتعددة، واتّبَع منهجية واضحة في هذا الكتاب التاريخي؛ حيث قام بتحديد البيوت وأسماء ملاكها والمعالم المهمة للمدينة من واقع المصورات الجوية القديمة، ونقَّب في الوثائق العدسانية والوثائق اللاحقة لها والصادرة عن القضاة الشرعيين في الكويت قديماً، كما اعتمد على سجلات التثمين (سجلات التحديد) داخل المدينة التي يحتفظ بها مركز البحوث والدراسات الكويتية وإدارة نزع الملكية، وتتضمن تلك السجلات معلومات عن البيوت التي قامت الدولة باستملاكها ابتداءً من عام 1954م.

ولم يقتصر جهد فريق العمل على الاستفادة من المصادر السابقة فقط، بل استفاد أيضاً من المخططات التنظيمية العامة والمخططات المساحية للبيوت المستملكة المتوافرة لدى بلدية الكويت وإدارة نزع الملكية، وأورد في هذا الكتاب مجموعة من الصور الفوتوغرافية التي أخذت لمعالم مهمة في الكويت في النصف الأول من القرن العشرين؛ حيث التقط معظمها رحالة وزوار أجانب، وتم وضعها في أماكنها المناسبة من هذا المشروع العلمي المنهجي المفيد فعلاً للأجيال الحالية والقادمة.

المعالم والحداثة:

ويمكن القول: إن الخلاصة التي توصل إليها الفريق الذي أنجز هذا العمل الممتاز تتمثل في أن مدينة الكويت القديمة راحت ضحية للافتتان بالحداثة والإثراء بعد ظهور النفط، وذلك نتيجة سوء التقدير الإداري لمصير المدينة رغم الأهمية التاريخية والحضارية، ورغم أن تلك المعالم التاريخية المتعددة كان من الممكن أن تشكل لدولة الكويت «إرثاً حضارياً خالداً ومعلماً سياحياً مهماً يشهد على عراقتها وأصالتها، ويحميها من موجات العولمة وحملات تغيير الهوية التي بدأت تطل برأسها في الوقت الحاضر».

والظاهر أن الافتتان بالحداثة فعل فعله في معالم الكويت القديمة، وكاد أن يقضي عليها جملة وتفصيلاً، فقد ذهب أ.د. عبدالله يوسف الغنيم، رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية -في تصديره للكتاب- إلى أن مدينة الكويت القديمة لم يبقَ منها سوى بعض المعالم والديوانيات القليلة المتناثرة عند واجهتها البحرية، فقد «قضى «التثمين» والتطور العمراني الحديث على صورة المدينة وأحيائها القديمة، والآن وبعد نحو ثلاثة أرباع قرن يتساءل أبناء هذا الجيل عن بيوت آبائهم وأجدادهم وعن النمط العمراني الذي كانوا يعيشون في ظله»، حسب تعبير د. الغنيم.

ومهما يكن من أمر، يبقى من الجائز لنا أن نتساءل: هل راحت معالم الكويت التاريخية ضحية الافتتان بالحداثة والتطور العمراني الحديث فعلاً؟ أم أن هناك عوامل أخرى ساهمت في القضاء على جانب كبير من تلك المعالم التاريخية نحتاج إلى التنقيب عنها في السجل التاريخي لدولة الكويت؟!■

العفو.. مدرسة كويتية متفردة

سعد النشوان
رئيس قسم الشؤون المحلية

لا شك أن الدول تنعم بالاستقرار عندما يكون هناك ضمان اجتماعي؛ لذا نرى كثيراً من الدول تضمِّن في دساتيرها الأمن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكلما كانت هذه المضامين مصانة يزيد الإنتاج وتكثر الإنجازات، وتبتعد الدول عن التوترات السياسية، وبكل تأكيد هذه المفاهيم والضمانات والحقوق هي أساس رقي المجتمعات وازدهارها.

وقد تضمن الدستور الكويتي في عدد من مواده هذه الحقوق، ففي المادة (8): «تصون الدولة دعامات المجتمع وتكفل الأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص للمواطنين»، وفي المادة (10): «ترعى الدولة النشء وتحميه من الاستغلال وتقيه الإهمال الأدبي والجسماني والروحي»، وفي المادة (11): «تكفل الدولة المعونة للمواطنين في حالة الشيخوخة أو المرض أو العجز عن العمل كما توفر لهم خدمات التأمين الاجتماعي والمعونة الاجتماعية والرعاية الصحية».

فهذه المواد وغيرها من القوانين التي تكفل حرية المواطن جعلت من الشعب الكويتي مجتمعاً متراصاً في وجه العواصف التي مرت به، وكان أشدها الغزو العراقي الغاشم الذي لم يجد كويتياً واحداً يضع يده بيده.

ولم تكتف القيادة بكفالة وحفظ هذه الضمانات للشعب، ولكن وعلى مدار تاريخه، لم تُهضم حقوق المواطن، بل وإن أخطأ المواطن أو حدث خلاف سياسي لا تمس هذه الحقوق، ويتخلق حُكام الكويت على مدى 350 عاماً بخلق كريم؛ ألا وهو «العفو»، ففي الأيام الوطنية يتكرم سمو الأمير بمكرمة العفو عن المسجونين في قضايا جنائية ما لم تمس حقوق أحد من المواطنين.

وخلق العفو متأصل في المجتمع الكويتي، ملتزمين بكتاب الله تعالى، وسُنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (آل عمران: 159)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، (رواه مسلم).

وفي تاريخ الكويت الكثير من نماذج العفو، ففي عهد الشيخ مبارك الكبير، رحمه الله تعالى، حدثت بعض الأمور التي أدت إلى هجرة بعض التجار إلى البحرين، وما كان من الشيخ مبارك إلا أن طلب من التجار العودة والمساهمة في بناء الدولة، وكذلك في عهد الشيخ أحمد الجابر، رحمه الله تعالى، وقعت أحداث خطيرة ومؤسفة، حيث قامت احتجاجات قتل فيها مواطنان واعتقل عدد آخر، ومرت هذه الأحداث وتم العفو والصفح، وكذلك في عهد الشيخ صباح السالم، رحمه الله تعالى، عام 1969م، حيث قام بعض السياسيين بعمليات تفجيرية في البلاد، وقبض عليهم، ولكن في النهاية تم العفو عنهم، وفي عهد الشيخ جابر الأحمد، رحمه الله تعالى، بالثمانينيات، كانت هناك موجة ما سمي بـ«تفجيرات المقاهي»، وقد خرج أصحابها أثناء الغزو العراقي من السجن، ولم يُطالَبوا بالعودة إليه مرة أخرى بعد التحرير، وفي عهد المغفور له الشيخ صباح الأحمد، رحمه الله تعالى، عفا عن بعض السياسيين بقضية «دخول المجلس» عام 2011م.

وها نحن في عهد الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله ورعاه، أصدر عفواً عن المدانين في قضايا سياسية، وعاد المهجَّرون إلى حضن بلدهم.

العفو خلق لا يصدر إلا من إنسان قريب من الله تعالى؛ لأن جزاء العفو عظيم عند الله سبحانه؛ ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: 40)، والعفو شيمة الأقوياء، وخُلق الكرماء، وديدن العظماء، ومن نتائجه تكوين علاقة وطيدة بين الحاكم والمحكوم، والحفاظ على وحدة الدولة وقت الشدائد.

بتحقيق هذا العفو الكريم تضع الكويت أساساً عظيماً في طريقة الإدارة والحكم الرشيد، وهي تجربة جديرة بالاحترام والتقدير، ونموذج رائع لمن أراد أن يستفيد. ■

مقال

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

في ظلال خيبر (5)

خيبر والكرامات!

لا يزال الصهاينة المحتلون يعربدون في أرض المسلمين فلسطين المحتلة، ويربون أجيالهم على عقيدة «الهيكل المزعوم» الذي سيكون محل المسجد الأقصى المبارك؛ لذا فهم الآن ينظمون رحلات مدرسية له لاطِّلاع أجيالهم على مكان هيكلهم المزعوم نافخين فيهم كما ينفخ الشيطان ضرورة قتل المسلمين وتدمير الأقصى!

هذه الخرافات التي تُدعم بقوة من قبل الدول الكبرى، لا تزول ولا تتحطم إلا بجيل التوحيد المتتبع لآثار رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وواجبنا اليوم فتح نوافذ البطولات الحقيقية حتى يراها أجيال المسلمين فيكونوا بحق جيلَ النصر المنشود، فمن هذه النوافذ البطولية الرائعة:

ولما قَدمَ رسولُ صلى الله عليه وسلم خيبر، صلَّى بها الصبح، وركب المسلمون، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم، ولا يَشعُرون، بل خرجُوا لأرضهم، فلما رأوا الجيش، قالوا: محمَّدٌ واللهِ، محمَّدٌ والخميسُ، ثم رجعوا هاربين إلى حصونهم، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «اللهُ أكبرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، اللهُ أكبرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ».

ولما دنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأشرف عليها، قال: «قفوا»، فوقف الجيشُ، فقال: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، ورَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، ورَبَّ الشَّيَاطِينِ وما أَضْلَلْنَ، فإنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هذه القَرْيَةِ وخَيْرَ أَهْلِها وخَيْرَ مَا فِيهَا، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذه القَرْيَةِ وشَرِّ أَهْلِهَا وشَرِّ مَا فيها، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ».

ولما كانت ليلة الدخول، قال: «لأُعْطِيَنَّ هذه الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فبات الناسُ يدوكون أيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناسُ، غَدَوْا على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كُلُّهم يَرْجو أن يُعطاها، فقال: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِب؟»، فقالوا: يا رسُولَ اللهِ، هو يَشتكي عينيه، قال: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْه»، فأتي به، فبصق رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في عينيه، ودعا لهُ، فَبَرَأَ حتَّى كأنْ لم يَكُنْ به وَجَعٌ، فأعطاهُ الرايَةَ، فقال: يا رسولَ اللهِ، أُقاتلهم حتى يكُونوا مثلنا؟ قال: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإِسْلام، وأَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فيه، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

وجاء عبد أسود حبشي من أهل خيبر، كان في غنم لسيده، فلما رأى أهلَ خيبر قد أخذوا السلاح، سألهم: ما تُريدون؟ قالوا: نُقاتل هذا الذي يزعم أنه نبيٌّ، فوقع في نفسه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل بغنمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ماذا تقول وما تدعو إليه؟

قال: «أَدْعُو إلى الإِسْلام، وأن تَشْهَدَ أن لا إله إلا الله، وأنِّي رَسُولُ الله، وألا تَعْبُدَ إلَّا الله»، قال العبدُ: فمالي إن شهدتُ وآمنتُ بالله عز وجل؟ قال: «لك الجَنَّةُ إنْ متَّ على ذلكَ»، فأسلم، ثم قال: يا نبيَّ الله، إن هذه الغنم عندي أمانة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَخْرِجْها مِنْ عِنْدِكَ وارْمِها بالحَصْباءِ، فإنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ»، ففعل، فرجعت الغنم إلى سيِّدها، فعلم اليهودي أن غلامه قد أسلم، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الناس فوعظهم، وحضَّهم على الجهاد، فلما التقى المسلمون واليهودُ، قُتِلَ فيمن قُتِلَ العبدُ الأسود، فاحتمله المسلمون إلى معسكرهم، فأُدخل في الفُسْطاط، فزعموا أن رسول الله اطلع في الفُسطاط، ثم أقبل على أصحابه وقال: «لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ هذا العَبْدَ، وسَاقَهُ إلى خَيْرٍ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَ رَأْسِه اثْنَتَيْنِ مِنَ الحُورِ العين، وَلَمْ يُصَلِّ لِلهِ سَجْدَةً قَطُّ».

وقال شدادُ بنُ الهاد: جاء رجل من الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فآمنَ واتَّبعه، فقالَ: أُهاجرُ معكَ، فأوصى به بعضَ أصحابه، فلما كانت غزوةُ خيبر، غَنِمَ رسولُ صلى الله عليه وسلم شيئاً، فقسمه، وقسم للأعرابي، فأعطى أصحابه ما قسمه له، وكان يَرعى ظهرَهم، فلما جاء، دفعُوهُ إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأخذهُ، فجاء إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هَذَا يا رسول الله؟ قال: «قَسْمٌ قَسَمْتُهُ لَك»، قال: ما على هذا اتبعتُك، ولكن اتبعتُك على أن أُرمى ها هنا، وأشار إلى حلْقه بسهم، فأموتَ فأدخل الجنة، فقال: «إنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ»، ثم نهض إلى قتال العدو، فأُتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتول، فقال: «أهو هو؟»، قالوا: نعم، قال: «صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ»، فكفَّنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم في جبته، ثم قدَّمه، فصلَّى عليه، وكان من دعائه له: «اللَّهُمَّ هذا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهاجِراً في سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيداً، وأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ»[1].

إنها كرامات شاهدات على صدق هؤلاء الرجال الأفذاذ من الصحابة الكرام الذين كتب الله على أيديهم نصراً مؤزراً للمسلمين على اليهود في خيبر، نصراً تغنتْ به أجيال المسلمين ردحاً من الزمان، وسيأتي اليوم الذي يسجد المسلمون سجود الشكر ويصلون صلاة الفتح وينشدون نشيد النصر، إن شاء الله تعالى، ولعله يكون قريباً، والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد.

الإصلاح السياسي..
طريق الاستقرار والنهضة

فتح العفو الأميري الذي أصدره سمو أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح الباب واسعاً أمام إعادة اللحمة الوطنية مجدداً، تأكيداً على أن المصالحة مع الشعوب هي بداية الإصلاح السياسي المأمول، ولا سيما من خلال تصحيح المفاهيم بأن المصلحين مكانهم التكريم وليس الملاحقة.

لكن خطوة كهذه تفتح الباب لمزيد من الأسئلة حول ماذا بعد العفو الأميري؟ وعن كواليس الحوار الوطني الذي أفضى إلى هذا العفو؛ هل شمل تفاهمات بشأن تعطيل بعض مواد الدستور؟ وما أولويات المعارضة في هذه المرحلة؟ وماذا لو جاء تمثيل وعمل حكومة الشيخ صباح الخالد مخيباً للآمال؟

أخذنا هذه الأسئلة وغيرها وطرحناها على النائب بالبرلمان الكويتي أسامة الشاهين الذي فتح لنا قلبه قبل عقله، فأجاب بكل شفافية ووضوح من خلال هذا الحوار.

النائب أسامة الشاهين في حوار خاص مع «المجتمع»:

نأمل أن يكون العفو الأميري مقدمة لمسيرة الإصلاح السياسي في الكويت

حوار- سعد النشوان:

العفو وإسقاط قرار تأجيل الاستجوابات إنجازان مهمان لكن الشعب ينتظر منا الكثير

هناك ربط مباشر بين العفو ومسيرة الإصلاح التي أخذت زخماً كبيراً بفضل الله تعالى ثم المكرمة الأميرية

● **بداية، نرحب بكم في «المجتمع».**

– حياكم الله، ومرحباً بكم وبقرَّاء مجلتنا الغراء «المجتمع»، رائدة الإعلام والصحافة الإسلامية في بلدنا الحبيب الكويت.

● **خلال الفترة الماضية شهدنا عدة مبشرات طيبة بالكويت؛ فقد أصدر سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله تعالى، عفواً أميرياً عن محكومين في قضية «دخول المجلس» وبعض القضايا الأخرى، الشارع يتساءل: ماذا بعد العفو؟**

– بالفعل، ما حدث في الكويت أمر مميز ومبشِّر، وهو انتهاء الإشكالات السياسية من خلال الحوارات والتفاهمات؛ ما أدى إلى انتهاء الاختناق السياسي بمكرمة أميرية سامية، حفظ الله سمو الأمير الذي وجه بهذا التوجيه ورعاه، وجزاه الله خيراً على ما قدم لوطنه ومواطنيه.

أما سؤال «ماذا بعد العفو؟»، فهو سؤال مهم، ومطلوب من الجميع المساهمة فيه والتلاقي عليه؛ لذلك كانت هناك دعوة كريمة من النائب السابق مسلم البراك رحبت بها شخصياً ورحب بها زملائي في الحركة الدستورية الإسلامية (حدس)، وهي دعوة للتلاقي بين نواب المعارضة (أو كتلة الـ31 كما نسميهم) لوضع أولويات المرحلة القادمة، فما تحقق بشأن العفو إنجاز، وما تحقق من إسقاط قرار تأجيل الاستجوابات القائمة والمزمع تقديمها إنجاز أيضاً، لكن الشعب والوطن ينتظرون ويحتاجون منا ما هو أكثر من ذلك، وهذا هو ما سنجتمع عليه للتحاور والتداول، وينتج بعد ذلك إعلان وأجندة واضحة ندعو لها الشعب ويساندنا ويدعمنا فيها بإذن الله تعالى.

● **هل ترون العفو مفتاحاً للإصلاح السياسي، خاصة مع وجود الكثير من القضايا المعطلة؟**

– العفو –بلا شك– كان قضية مركزية ومحورية؛ لأنه عفو عن مجموعة انبرت

www.mugtama.com

للإصلاح وللتصدي لقضية من أكبر قضايا الفساد السياسي، وهي ما عرف باسم «النواب القبيضة»؛ فبوابة الإصلاح هي حماية المصلحين وتكريمهم وليس ملاحقتهم وحبسهم وسجنهم.

ولذلك أربط ربطاً مباشراً بين هؤلاء الشباب والنواب ومسيرة الإصلاح التي أخذت زخماً كبيراً بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم هذه المكرمة الأميرية السامية، ثم الالتفاف حول هذه القضية طوال هذه السنوات واحتضانها وجعلها في صدارة القضايا السياسية؛ فهي لا تنفك عن الإصلاح، وإن كانت -كما تفضلت- ليست القضية الإصلاحية الوحيدة.

كما أن تمكين النائب من حقه في الاستجوابات بناء على إسقاط قرار تحصين رئيس الوزراء من الاستجوابات الحاضرة والمزمع تقديمها، هذا أيضاً يفتح بوابة أخرى للإصلاح والرقابة.

وأرى أنه لا يقل أهمية عن هاتين البوابتين؛ بوابة الاتفاق على أجندة تشريعية ورقابية بالتنسيق -وليس بالتسابق- بين النواب، وأيضاً أن يكون هناك تواصل مع الحكومة بشأنها عند اللزوم حتى نضمن تنفيذها وتطبيقها على أرض الواقع، مستثمرين هذه الأجواء الإيجابية وهذا المناخ التفاؤلي والإصلاحي للمزيد من المكتسبات الشعبية.

● لكن البعض يرى أن الفرحة بالعفو كانت منقوصة لأنها شملت «خلية العبدلي»، فكيف ترى ذلك؟

- مشاعر هؤلاء هي مشاعرنا، وما ضايقهم ضايقنا حقيقة، وإن كان الموضوع يختص به سمو الأمير، حفظه الله ورعاه، والدستور أوكله لسموه دون عرض على المجلس، لكن -بلا شك- ما شعر به المواطنون شعرنا نحن به كمواطنين وممثلين للمواطنين، فكنت أنا وقطاع كبير من المواطنين نود أن يكون هنالك عفو لا تدخل فيه قضايا أخرى قد تحدث اللبس عند الناس، أو تصور خلاف الواقع بأننا سعينا لهؤلاء أو أولئك، وأشدد من خلال هذا المنبر بأن من سعينا لهم ووثقنا ذلك بالمطالبات المتكررة والاقتراحات بالقوانين والبيانات السياسية هم النواب والشباب الإصلاحيون سواء الذين خرجوا إلى تركيا أم المغردون وذوو الآراء السياسية، لكن كما أشرت فهو أمر أوكله الدستور لسمو أمير البلاد ولا معقب عليه سواء قضائياً أو سياسياً في هذا الشأن الأميري الخاص.

● هناك من يقول: ليس كل الكويتيين يهمهم موضوع العفو، فهل هو قضية نخبوية أم له مغزى سياسي؟

- الموضوع له أكثر من بُعد؛ فهناك بُعد شخصي وأخوي يتعلق بهذه الكوكبة التي زاملناها وخالطناها وجاورناها على مقاعد مجلس الأمة في عام 2012م؛ مجلس الأغلبية الشهير، وأيضاً لها جانب قيمي وأخلاقي وتربوي ربما يغفل عنه البعض، فما نريد تحقيقه وما تفضل علينا به سمو الأمير، حفظه الله تعالى، هو رسالة أخلاقية جميلة وكريمة للشارع الكويتي والأجيال القادمة، مضمونها ألا تخجل ولا تخف ولا تتردد في إنكار المنكر ومكافحة الفساد، وأن الدولة؛ أميراً وشعباً، ستقف معك في هذه المطالبات العادلة، وحقك هو التكريم وليس المحاكمة والحبس والملاحقة.

● بكل صراحة، هل حصلت تفاهمات بين الحكومة والنواب أو لجنة الحوار بخصوص تعطيل بعض مواد الدستور مثلاً كاستجوابات أو وقف بعض الأمور للتهدئة؟

- لم يكن هناك -بحسب إعلان الزملاء الذين ذهبوا للحوار- أي شيء يمس الدستور، ولا جيوب المواطنين؛ فلم يكن هناك شيء من هذا القبيل بحسب تأكيد الزملاء الذين كانوا حاضرين في ذلك المجلس، وأؤكد أننا لم يعرض علينا أي معلومات إضافية أو تفاصيل؛ فالإخوة الذين ذهبوا للحوار لم يكونوا ممثلين لكتلة، لكنهم ذهبوا بصفتهم ممثلين عن الأمة بحكم عضويتهم في مجلس الأمة؛ فهؤلاء الفضلاء هم ممثلونا ونحن نتحمل قراراتهم، وأطمئن أيضاً بذات الصدد بأنهم لا يقلون عني حرصاً على الدستور والمال العام وجيوب المواطنين، فأكدوا لنا مشكورين أنه لم يكن هناك شيء من هذا القبيل، وإن كان هناك شيء لا نعلم عنه، فهم بالنهاية -كما قلت- ذهبوا بأشخاصهم الكريمة.

والبيان السياسي الذي وقعنا عليه يناشد سمو الأمير العفو الكريم عن أصحاب القضايا السياسية، هذا الالتزام وهذا الطلب الوحيد الذي تم تقديمه، والحمد لله سمو الأمير تلقاه بصدر رحب، ومكرمة سامية، أدخلت السعادة والسرور في قلوبنا.

● ذكرتم قبل قليل «كتلة الـ31»، السؤال الذي يطرح نفسه بعد العفو: هل هذه الكتلة ذهبت أدراج الرياح؟

- هذا هو التحدي القائم حالياً، هناك فريقان ربما رأينا انعكاسهما أيضاً في تركيا وداخل مجلس الأمة الكويتي: فريق يعد أقلية يرى أنه لا أولوية تعلو على إسقاط ورحيل الرئيسين، ويقصدون رئيس المجلس ورئيس الحكومة، وأننا يجب ألا نناقش أي قضية ثانية، وألا ندخر جهداً في تحقيق هذه الغاية، وهناك رأي الأغلبية أيضاً من النواب؛ الحاليين والسابقين، الذين يرون أن القضية أكبر من أن تكون قضية أشخاص أو أسماء؛ بل الأمر مواضيع وقضايا إصلاحية رقابية وتشريعية وشعبية، وهي معيار التعاون أو التصعيد مع الحكومة أو مع هذا الشخص أو ذاك.

وهاتان وجهتا النظر هما محل الاختلاف، وإن كنت أرى أن الاختلاف والتنوع مفيد للحالة السياسية الكويتية، ويجب ألا نتطابق جميعنا على الوسائل والأدوات ذاتها، وهذا حق مشروع للزملاء، وإن شاء الله تعالى ننجح قريباً في التنسيق والتقريب فيما بيننا عبر الاجتماع الذي دعا له الأخ الفاضل مسلم البراك، ودعت

كنا نود ألا يدخل ضمن العفو قضايا أخرى قد تُحدث اللبس عند الناس

لم تكن هناك أي تفاهمات تمس الدستور ولا جيوب المواطنين كما أكد المشاركون بالحوار

إليه أطراف أخرى؛ فلن نتردد في الحضور لمحاولة تقريب وجهات النظر.

لكن أصارح الشارع الكويتي وقرَّاء «المجتمع» الغراء بأن هناك مدرستين؛ مدرسة ترى أنه لا صوت يعلو على صوت إسقاط الرئيسين، وأخرى ترى أن هذه معركة وإن كانت مهمة لكن هناك ما هو أهم منها وهي الأجندة التشريعية والرقابية التي يجب أن نحققها للوطن والمواطنين.

● هل الإصلاح السياسي بالكويت وهذا العفو يمكن أن يكون رسالة سياسية للخارج بأن المصالحة مع الشعوب مفتاح لتنمية الأوطان؟

– أرى أن العفو كان شأناً محلياً محضاً ووطنياً في إطار ما اعتادت عليه الكويت، وهي المصالحة والتصالح كلما اشتد النزاع، وإن كنت أتفق معك في أن هذه المشاهد الجميلة التي حصلت وهذه المكرمة الأميرية السامية التي صدرت تمثل، من حيث ندري أو لا ندري، رسالة ومدرسة وقدوة لإخواننا وأشقائنا في الوطن العربي الكبير وفي العالم الإسلامي العزيز علينا، وهذا ما اعتادت عليه الكويت دائماً أن يُضرب بها المثل في المحامد والأمور الطيبة، فتصالح الحكومات مع الشعوب والتقدم في المسيرة الإصلاحية والرقابية ينعكس –بلا شك– إيجاباً على الجميع، وينعكس استقراراً وازدهاراً في أوطاننا العزيزة والغالية علينا جميعاً.

● بخصوص تشكيل الحكومة، صدر، أخيراً، مرسوم وأمر أميري بتكليف الشيخ صباح الخالد بتشكيل الوزارة، هل سنشهد حكومة برلمانية؟

– مَنْ انخرطوا في الحوار الوطني وسعوا له كانوا يخططون لمشروع من 4 خطوات؛ الأولى تتعلق بالعفو الخاص الكريم، والثانية إسقاط قرار تأجيل الاستجوابات، والثالثة تشكيل حكومة شبه برلمانية بها تمثيل أكبر للنواب بشكل عام وللمعارضة الإصلاحية بشكل خاص، والخطوة الرابعة مشروع تضمين القوانين الإصلاحية داخل برنامج عمل الحكومة، فنرجو أن ينجحوا في هذا التوجه الحميد الذي نقدم له كل دعمنا وتأييدنا؛ لأن نجاحهم في هذا المستهدف نجاح لنا جميعاً، وهي مطالبة شعبية وللمعارضة الإصلاحية.

من الخطوات الأربع هذه تحقق أول هدفين –بفضل الله تعالى ثم التقاء الإرادة الأميرية والإرادة الشعبية– وإن شاء الله تستمر مثل هذه الإرادة الأميرية والشعبية في تحقيق الهدفين الثالث والرابع، وهما: حكومة تعكس بشكل أكبر وأوفر تمثيل الشعب وتحديداً المعارضة الإصلاحية منه، وبرنامج عمل حكومي يتضمن القوانين والمطالب الإصلاحية والشعبية، ونقدم لمثل هذه الأفكار والمشاريع دعمنا وتأييدنا، وإن كنا لا نملك القرار كاملاً في مثل هذه الأمور، لكننا نساهم بما نستطيع وما نقدر في إيجاد المناخ الملائم لمثل هذه التوجهات الإصلاحية.

● إذا جاءت حكومة بدون خطة عمل واضحة، فكيف سيكون موقف النواب حينئذ؟

– إذا جاء تشكيل الحكومة مخيباً للآمال، وأتى برنامج عملها بعيداً عن تطلعات الوطن والمواطنين؛ فهذه ستكون دعوة حكومية للتصعيد ضدها، لكن آمل أن تكون الحكومة أكثر حكمة، وتكون قراراتها أسلم من ذلك ويأتي التشكيل مناسباً، والأهم من التشكيل أن يأتي البرنامج معبراً حقيقة عما عبر عنه المواطنون عندما خرجوا لصناديق الاقتراع في ديسمبر 2020م، وعندما خرجوا، أخيراً، إلى المطار ودواوين النواب والشباب الإصلاحيين واحداً تلو الآخر بالآلاف في حشود كبيرة استثنائية لم تشهدها الكويت منذ وقت بعيد، وهذه الرسائل الشعبية آمل أن تنعكس على تشكيل وبرنامج عمل الحكومة، وبلا شك إذا أتوا لنا بخطوة إصلاحية فسنقابلها بمثلها خطوات من دعم وتأييد وثقة، وإن غاب الإصلاح فسيغيب الاستقرار والازدهار.

البعض يرون أنه لا صوت يعلو على صوت إسقاط الرئيسَيْن وآخرون يرون أن هناك معارك أهم

مشروع الحوار الوطني كان مكوناً من 4 خطوات تحقق اثنتان منها ونترقب الأخريين

● هل هناك «فيتو» على أي من الأسماء للوزراء الحاليين؟

– لا أود أن أتحدث باسم جميع زملائي، لكنني شخصياً أركز دائماً على الأداء والعمل وعلى المشروعات وليس الأشخاص، لأني أؤمن بأن الأشخاص في طريقة عمل الحكومة الكويتية غير مهمين أو مؤثرين كثيراً بقدر ما هم، مع الاحترام لشخوصهم الكريمة، أوعية تحمل البرامج الحكومية، وأحياناً نفس الشخص يقوم بإجراءات إصلاحية ثم يقوم بإجراءات فاسدة وفقاً للتوجهات والسياسة العامة للحكومة، فأنا دائماً أحب التركيز على مثل هذا المضمار.

لكن يمكن أن أقول على المستوى الشخصي بأن أداء وزير التجارة د. عبدالله السلمان مخيب للآمال في قضية القسائم الصناعية وسوء توزيعها والشبهات التي طالت عمليات توزيع مزمعة لقسائم صناعية، وكذلك أداؤه في بعض الملفات الصناعية والتجارية المهمة سواء ما يتعلق بمنطقة الشعيبة الصناعية الكبرى، أم المنطقة التجارية الحرة، أم المنطقة المجاورة لميناء عبدالله.

لذا آمل أن نحظى بوزير تجارة إصلاحي أكثر وضوحاً وشفافية في إجراءاته تجاه القسائم الصناعية ودعم أصحاب المشروعات التجارية الصغيرة والمتوسطة الذين لم يجدوا مثل هذا الدعم بأي شكل من الأشكال.

● أغلب مشكلاتنا قابلة للحل؛ مثل قضايا الإسكان والصحة والمقيمين بصورة غير قانونية، لكنها تحتاج إلى إرادة من الحكومة، فهل تتفقون مع هذا الرأي؟

– السؤال من شقين؛ أولاً أتفق فعلياً مع أن المشكلات بالكويت ما زالت سهلة وممكنة وقابلة للحل، وما زلنا نحظى بالميزات ذاتها من حيث قلة عدد السكان وانسجامهم في تركيبة اجتماعية واحدة، وعدم وجود مشكلات طائفية أو فئوية مثل التحديات التي تواجه دولاً مجاورة أخرى؛ فليس عندنا مثل هذه التحديات أو هذه التعقيدات، بالإضافة إلى الأرض والتضاريس التي حبانا الله إياها؛ فهي منبسطة وسهلة والمورد الأساسي للاقتصاد والخزينة العامة، وهو النفط ما زال –والحمد لله تعالى– مطلوباً عالمياً وبأسعار مرتفعة، وبالنهاية كل هذه

www.mugtama.com

العوامل من شأنها أن تسهل الحل على من يريد الحلول.

لكن التحدي الكبير -هذا هو الشق الثاني- هو هل هناك إرادة لحل هذه المشكلات؟ هل هناك رغبة حقيقية لحلها؟ وإذا توفرت هذه الرغبة فإن الإمكانات موجودة ومتاحة، ولكني أشك في رغبة الحكومة في حل مثل هذه المشكلات؛ حيث أجد كثيراً منها، بحكم تجربتي في 3 مجالس (2012، 2016، 2020)، مشكلات متعمدة ومفتعلة ولا توجد إرادة حقيقية لحلها، لكن الإرادة أن تستمر هذه المشكلات وتتعقد لمصالح أخرى، حتماً هي ليست مصالح الوطن والمواطنين.

● المواطن انتظر منكم كثيراً كنواب؛ فهل هناك مبشرات للمواطنين تقدمها لهم من خلال «المجتمع»؟

- أذكّر نفسي والمواطنين أننا في السلطة التشريعية؛ أي أن الحكومة ما زالت بعيدة تماماً عن التمثيل الشعبي والنيابي حتى الآن، وآمل أن يكون التمثيل الحكومي الجديد على خلاف ما جرى عليه العمل، وأن يكون هناك تمثيل شعبي ونيابي أكبر، لكن المساحة الشعبية والنيابية تتركز في أدوار التشريع والرقابة، أما التنفيذ والقرارات اليومية التي تمس المواطنين فهي مساحة حكومية بحتة.

لكننا نحن المشرعين والمراقبين نضغط باتجاه حلول مالية سريعة ومباشرة للمتقاعدين والمتقاعدات، وآمل أن ننجح في هذا الملف قريباً سواء من خلال المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، أم تعديلات على موضوع مكافأة ربات البيوت، أم تأجيل الأقساط، أم دعم وتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة، مثل هذه الملفات

آمل أن تكون الحكومة أكثر حكمة ويأتي تشكيلها مناسباً وبرنامجها معبراً عن تطلعات المواطنين

لا توجد أي جهود حتى الآن بإطار تنسيق دخول التشكيل الحكومي ولم نتلق أي دعوات بهذا الشأن

المعيشية آمل أن تجد كلها أو بعضها -على الأقل- حلاً سريعاً يراه المواطنون بأعينهم بإذن الله تعالى.

● أنتم كتيارات سياسية، هل لديكم تنسيق لدخول التشكيل الحكومي؟

- حتى لحظة إجراء هذا الحوار لا توجد أي جهود تبذل في إطار تنسيق دخول جماعي، ولا أي دعوات تلقتها التيارات السياسية بهذا الشأن، لكن هل سيحدث هذا في الأيام القادمة أم لا؟ أظن أن الخطوة الأولى يجب أن تكون من رئيس الوزراء المكلف، ثم بعد ذلك تتداعى التيارات السياسية فرادى ومجتمعة لتدارس مثل هذه الدعوات التي لم تصدر حتى لحظة إجراء هذا الحوار.

● ماذا تقول لسمو الأمير الشيخ نواف الأحمد، وسمو ولي عهده؟

- أقول لسمو الأمير، حفظه الله ورعاه، وسمو ولي عهده الأمين، متعهما الله بالصحة والعافية والتأييد والتوفيق: جزاكما الله خيراً، وأسعدكما كما أسعدتما آلافاً من الأفراد والأسر الكويتية في هذا الوطن العزيز، وما قام به سمو الأمير من عفو كريم وجميل ليس مستغرباً على سموه، ولكنه يمثل تغيراً كبيراً على الساحة السياسية والاجتماعية، نشكر سموه عليه، ونسأل الله تعالى أن يجزيه خيراً في الدارين على هذا الفعل الجميل الذي آمل أن يشيع في مختلف فئات المجتمع، وهي سياسة العفو والتسامح والتصالح التي جُبل عليها الكويتيون، وأمرنا بها ديننا الإسلامي الحنيف.

● ماذا تقول للشعب الكويتي؟

- لقد التففتم مراراً وتكراراً حول الإصلاح والإصلاحيين، وأدعوكم للاستمرار في هذه المسيرة وعدم اليأس والإحباط، عسى أن نرى نتائج إصلاحية ورقابية وتشريعية وشعبية قريباً بإذن الله تعالى، ثم بالتفافكم في مثل هذه الجهود رافعين جميعاً قول الله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود: 88) شعاراً لكم.

● ماذا تقول لرئيس الوزراء المكلّف الشيخ صباح الخالد؟

- هذا ليس تكليفكم الأول، وبالتالي أنتم تتحملون مسؤولية أكبر؛ فهي ليست التجربة الأولى لكم، وقد سمعتم خلال السنوات والتجارب السابقة الطويلة لكم سواء في رئاسة الوزراء أم في الوزارة مرئيات أبناء المجتمع الكويتي وتحفظاتهم وتحديات الوطن وآمال شبابه، وبالنهاية نأمل أن تنعكس على أمرين؛ أولهما التشكيل الحكومي، وثانيهما برنامج عمل الحكومة.

فالتحديات قد كبرت والآمال قد انعقدت وها هي الثقة الأميرية بكم قد تجددت؛ فآمل أن تكونوا أهلاً لها، وأن تحققوا للوطن وأميره -حفظه الله ورعاه- ومواطنيه، حفظهم الله تعالى، ما يصبون إليه من استقرار وازدهار لوطننا العزيز، وإن فعلتم إصلاحاً وخيراً فستجدون منا كل عون ودعم وتأييد.

وفي النهاية، أشكر مجلة «المجتمع» الغراء على إتاحة هذه المساحة للشأن المحلي، التي لا ننسى بجانبه الشؤون الدولية والعالمية وأخبار المسلمين حول العالم حيث تمثل «المجتمع» قناتنا الأولى للتعرف عليهم، نسأل الله سبحانه أن يحفظ بلاد المسلمين، وأن يوفق المجتمعات والبرلمانات المسلمة لما فيه خير وصالح الإسلام والمسلمين.■

أكد د. مبارك سلطان الناهض، أستاذ تاريخ الكويت السياسي بكلية التربية الأساسية، أن العلاقة بين السلطة في الكويت والشعب علاقة حب ومودة وتعاون، وأن الكويت أسرة واحدة مهما اختلف أبناؤها يعودون لبعضهم بعضاً، والعلاقة بينهم ليست مبنية على الانقلابات السياسية أو المواجهات الدموية.

وقد استعرض د. الناهض، من خلال الحوار الذي أجرته معه «المجتمع»، تاريخ العفو السياسي في الكويت الذي بدأ في حكم الشيخ مبارك الصباح عام 1896م، مروراً بعدد من الأحداث والأزمات السياسية التي كانت تنتهي بعفو سياسي عن المدانين في تلك الأحداث، وانتهاء بالعفو الأميري الذي صدر مؤخراً في قضية «دخول المجلس»، وعلى إثره بدأ المعفو عنهم العودة إلى وطنهم الكويت.

د. مبارك سلطان الناهض أستاذ التاريخ السياسي لـ«المجتمع»:

تاريخ العفو السياسي بالكويت خير شاهد على علاقة الأسرة الواحدة

أجرى الحوار- مرزوق الحربي:
نائب رئيس التحرير

الشيخ مبارك الصباح أصدر عفواً عن الشيخ محمد بن عيسى رغم إعلانه رفض حكم الشيخ مبارك وهجرته للبصرة

● ما الأسس التي بنيت عليها طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الكويت؟

- منذ بداية تأسيس دولة الكويت في عام 1613م، قام أهلها في ذلك الوقت بتزكية الشيخ صباح الأول ليكوم حاكماً للدولة، ولم تكن تسمى في ذلك الوقت الكويت، بل تعددت أسماؤها بين الكويت والكوت والقرين، ولم تكن طبيعة الحكم كما نراه اليوم؛ بل كان أقرب للحكم العشائري الدارج في تلك الفترة.

وكانت طبيعة الحكم بالتراضي بين الحاكم والمحكوم، وكانت أقرب إلى العلاقة الاجتماعية الأخوية وعلاقة القربى والرحم منها للحكم بصورته المتعارف عليها اليوم، وكان الشعب يحترم الحاكم ويجله ويقدره، وكان الحاكم من ناحيته يقدر الشعب ويسعى في تسيير أموره.

● لكن، متى بدأت ملامح الدولة أو الإمارة تتبلور في الكويت؟

- في حكم الشيخ مبارك الصباح عام 1896م بدأت ملامح الإمارة، وأصبح للكويت كيان سياسي معتبر، وأبرمت المعاهدة مع الإنجليز، ثم حدثت خلافات في الحكم؛ ما تسبب بنشوء أزمات سياسية ومحاولة انقلاب قادها يوسف بن إبراهيم بالتعاون مع ابن رشيد الحاكم في شمال الجزيرة العربية، وبسبب هذه التوترات والاختلافات هاجر العديد من العوائل إلى البصرة، وكان من ضمن هذه الأحداث رفض الوجيه محمد ابن عيسى -الذي كان يمثل أحد الوجاهات المعتبرة في ذلك الوقت- حكم الشيخ مبارك، وترك الكويت واستقر في فيلكا، وبعدها ذهب للبصرة قرابة 6 سنوات، ولكن الشيخ مبارك الصباح أرسل له وعفا عن جميع اعتراضاته ورفضه للحكم، ورجع للكويت،

www.mugtama.com

وكان هذا أول عفو سياسي بالكويت يصدره الحاكم لأحد رعاياه.

وفي عام 1910م، فرضت الكويت ضريبة، عارضها العديد من التجار، ومنهم فجحان هلال المطيري، وإبراهيم المضف، وشملان بن سيف، وتركوا الكويت اعتراضاً على هذا القرار، وذهبوا للبحرين، وحرصاً على استقرار البلد وعدم خلق حالة عامة من الرفض طالبهم الشيخ مبارك الصباح بالعودة مع إلغاء الضريبة، وعادوا باستثناء فجحان المطيري الذي ذهب له الشيخ مبارك بالبحرين واسترضاه، وعاد للكويت، في واقعة تمثل حالة كبيرة من التوافق مع الحاكم، والنزول على رغبة وجهاء البلد.

● هل توقفت الأزمات السياسية بعد وفاة الشيخ مبارك الصباح، أم استمرت مع من خلفه من الحكام؟

– مع أن الأوضاع الإقليمية حول الكويت كانت ملتهبة، ومنها الحرب العالمية الأولى، وإنشاء الدولة السعودية الثالثة بقيادة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، والتحركات البريطانية؛ فإن الأحداث الداخلية كانت هادئة في عهد الشيخ جابر الثاني، وكذلك في عهد الشيخ سالم المبارك، إلى أن جاء عهد الشيخ أحمد الجابر حيث حدثت أحداث كثيرة ومتنوعة، أبرزها المجلس التشريعي الأول الذي لم يدم 6 أشهر وتم خلاله وضع وثيقة الحكم، وتلاه المجلس التشريعي الثاني، وكان الوضع في هذا المجلس أشد سخونة لعدة أسباب؛ منها أنه في هذه الفترة تم اكتشاف النفط، وتدخل المندوب البريطاني، وطالب بعدم تدخل المجلس في الأمور المالية للدولة، وتم حل المجلس، ونتج عن ذلك العديد من الصدامات والتمرد ومحاصرة قصر نايف، وتوفي في تلك الأحداث محمد المنيسي، ورجل أمن اسمه محمد القطامي، وبعد هذا التمرد سجن أعضاء المجلس وهرب بعضهم للبصرة، وبعد 4 أعوام من هذا الحادث تم عفو عام عن جميع المدانين في الأحداث السياسية؛ سواء الذين خرجوا في أزمة الحكم بعهد الشيخ مبارك الصباح، أم في أحداث المجلس التشريعي الثاني؛ مما أوجد استقراراً سياسياً كبيراً.

● في عهد الشيخ عبدالله السالم عاشت الكويت نقلة سياسية وعمرانية وحضارية، فهل تعرضت البلاد لأزمات سياسية مرة أخرى؟

بعد حل المجلس التشريعي الثاني حدثت صدامات وتمرد ومحاصرة قصر نايف ثم صدر عفو عن المدانين

الحمد لله أننا بلد قائم على الحب والتعاون وليس على الانقلابات السياسية أو المواجهات الدموية

– الشيخ عبدالله السالم الذي حكم بعد الشيخ أحمد الجابر عام 1950م، ألغيت في عهده معاهدة الحماية البريطانية عام 1961م، التي أبرمت في عهد الشيخ مبارك الصباح عام 1899م، وأصبحت الكويت دولة مستقلة نالت اعترافها من الأمم المتحدة، وأصبح لها دستور وبرلمان ومشاركة شعبية.

وفي عام 1969م، أجريت ثاني انتخابات برلمانية، وشاركت فيها تيارات سياسية مختلفة؛ عكس المرات السابقة حيث كانت أغلب المشاركات للتجار، وقامت الحكومة بتزوير الانتخابات كرد فعل على مشاركة التيارات السياسية، وقام عدد من الشباب التابعين للقوميين العرب بعمل عدة تفجيرات، وذلك عام 1969م، وكانت تفجيرات بسيطة وغير مؤثرة، إلا أنه تم القبض على من قام بها وهم عبداللطيف الدعيج، وأحمد الديين، وهرب الثالث إلى ظفار وهو أحمد الربعي.

وبعد هدوء الأحداث السياسية، أصدرت الحكومة عفواً عن هذه المجموعة بعد عدة سنوات، وهدأت الأحداث السياسية الساخنة وإن كانت هناك أحداث هنا وهناك لكنها لم تكن تبلغ العنف السياسي، ومنها أحداث مسجد شعبان بعد حل مجلس الأمة عام 1975م التي تم بسببها سحب جنسية عباس المهدي، إمام المسجد، وأحداث مجلس عام 1985م الذي كان أقوى مجلس في تاريخ الكويت، وبسبب التصادم بين السلطات تم حل المجلس واعتقال أغلب رموز المعارضة الذين شاركوا في دواوين الإثنين، والتحقيق معهم، وكانت هذه الدواوين حركة احتجاجية بسبب حل المجلس حلاً غير دستوري، وقامت تجمعات ومظاهرات، وانتهت جميع الأحداث بتحقيق في المخفر وحجز لعدة أيام فقط دون أي إيذاء أو أحكام قضائية.

● ننتقل إلى العفو الحالي الذي كان بتوجه كريم من سمو الأمير نواف الأحمد الصباح، ما تعليقكم؟

– العفو الأميري الأخير تعود قصته إلى عام 2011م وقبله، بدءاً بالمطالبة برحيل رئيس مجلس الوزراء الشيخ ناصر المحمد، حيث صاحب هذه المطالبة العديد من الأحداث السياسية، منها تجمعات للمعارضة في ساحة الإرادة ومسيرات «كرامة وطن»، ورفع سقف المطالبات السياسية من بعض الحركات الشبابية التي كانت تطالب بتحويل الكويت إلى مملكة دستورية، ومن أشد الأحداث كان خطاب «كفى عبثاً» للنائب السابق مسلم البراك الذي وجهه لسمو الأمير بشكل مباشر، الذي يعد مخالفة دستورية وقانونية تستوجب الحكم القضائي، وقضية اقتحام مجلس الأمة من قبل مجموعة من الشباب والنواب؛ فصدرت ضدهم أحكام قضائية، لكن هؤلاء المحكومين آثروا الخروج من الكويت، والمطالبة بمراجعة الأحكام القضائية لأنها –بوجهة نظرهم– أحكام سياسية.

وفي منتصف هذا العام (2021م)، بدأت تحركات للحوار السياسي وإصدار عفو عام أو خاص من قبل سمو الأمير، وتجاوبت الحكومة مع هذه التوجهات، وتم إصدار عفو خاص لمجموعة من النواب والنشطاء والسياسيين، وهم: مسلم البراك، خالد الطاحوس، سالم النملان، جمعان الحربش، مبارك الوعلان، فيصلم المسلم وبعض النشطاء السياسيين من الشباب.

● برأيكم، علامَ تدل هذه الأحداث والأزمات التي انتهت بعفو من أمراء الكويت؟

– تدل على أن العلاقة بين السلطة والشعب علاقة حب ومودة وتعاون، وأن الكويت أسرة واحدة مهما اختلف أبناؤها فإنهم يعودون لبعضهم بعضاً، والحمد لله تعالى أننا بلد مبني على الحب والتعاون وليس على الانقلابات السياسية أو المواجهات الدموية.■

سؤال الإصلاح في العالم الإسلامي..

مقاربة تحليلية

هذه المقالة تلقي نظرة موجزة حول سيرة أفكار الإصلاح في العالم الإسلامي خلال القرنين الماضيين، في محاولة للوقوف على مسارات وكليات هذه السيرة، وكيفية تطوير انشغالاتها في ضوء السياقات المعاصرة بالأمة سواء من خلال المضامين أو الوسائل أو إعادة بناء الأولويات.

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

حياة المسلم ليست منفصلة الأجزاء بل وحدة كلية يمثل فيها الماضي حصيلة الحاضر وكلاهما يمثل المستقبل

العقل المسلم انتبه إلى ضرورة تطوير الجيوش ليكون على مقدرة لمواجهة الهجمات الخارجية

العقل الإصلاحي الحركي ثبّت مسألة الخلافة بأذهان تابعيه على أساس أنها قضية وجودية للأمة

الصلاح في اللغة من «صلح» ضد الفساد، ومنه الإصلاح ضد الإفساد، وقوبل الصلاح في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، ويعني كذلك الاستقامة، والسلامة من العيوب. ومن الجدير بالذكر أن العقل المسلم في بداية حركته الفكرية إبان النهضة الأوروبية في العصر الحديث لم يأنس لاستخدام لفظة «الإصلاح» في خطابه الفكري؛ وذلك نظراً لحمولة هذه اللفظة في السياق الأوروبي الحديث والمعاصر التي كانت تعني إزاحة الدين من الحياة العامة وهو ما عرف في أوروبا «الإصلاح الديني»، واستخدم في السياق الإسلامي لفظة «التجديد» بدلاً منها في كثير من الخطاب الفكري الإسلامي في هذا الوقت، لكن هنا فضلنا استخدام لفظة «الإصلاح» لأن العطاء الفكري للعقل المسلم كان أقرب إلى إزالة الفساد، وتنقية الثقافة الإسلامية والواقع الإسلامي مما علق بهما من شوائب مغايرة للأصيل فيهما، بينما كان التأطير لفكرة التجديد أقل كثافة وندرة وفقاً لطبيعته وهو ما يمكن أن يكون له موضوع آخر للحديث فيه، كما أننا نقصد فيما يتعلق بهوية سؤال «الإصلاح» أي ذلك السؤال الذي انطلق من المرجعية الإسلامية وليست أي مرجعية أخرى.

www.mugtama.com

مجالات الإصلاح في العصر الحديث:

يمكن الإشارة إلى أبرز مجالات الإصلاح في العالم الإسلامي في العصر الحديث التي شكلت الانشغالات الأساسية للعقل المسلم وحركته الذاتية، وهذه الانشغالات تتمحور في ثلاثة مجالات أساسية نتناولها فيما يلي:

الأول: الإصلاح العسكري (تطوير الجيوش):

بدأت القوى العسكرية الإسلامية على حدود أوروبا نتيجة تطوير أوروبا لأسلحتها العسكرية وبقاء الجيوش الإسلامية في تركيا وإيران وغيرها بأسلحتها التقليدية، فلاقت جيوش هذه الدول خسائر في حروبها التي دخلت فيها مع الدول الأوروبية كما في الحروب الإيرانية الروسية من ناحية، والحروب الأوروبية التركية من ناحية أخرى، التي أظهرت بوضوح التفوق العسكري الأوروبي.

وفي ذلك انتبه العقل المسلم إلى ضرورة تطوير الجيوش والإعداد العسكري ليكون على مقدرة لمواجهة مثل تلك الهجمات، فاضطر إلى اللجوء إلى استيراد نظام تعليمي عسكري أوروبي واستيراد مقرراته ومناهجه ومعلميه -أيضاً- فأنشئت مدارس دار الفنون (1851م) في إيران بها ثلاثة أقسام للتدريب العسكري على النمط الغربي، وفي تركيا في عهد السلطان مصطفى الثالث (1757 – 1773م) تم استحضار النموذج الأوروبي في مجال التعليم العسكري وإعداد الجيش العثماني، وكذلك كانت تجربة محمد علي (1805 – 1848م) في مصر بتأسيس تعليم مواز عن التعليم التقليدي الموروث لخدمة إعداد جيش وطني قوي.

الثاني: قضية الخلافة:

من الانشغالات الرئيسة للعقل الإصلاحي في العقل الحديث ما يتعلق بقضية الخلافة، وكان ذلك رداً على مؤثرين اثنين:

1 – تنامي دعوات تفكيك الخلافة.

2 – ظهور الدعوة لإحلال العلمانية في العالم الإسلامي وفصل الدين عن شؤون المجتمع والسياسة خصوصاً.

وقد تعرض الفكر الإصلاحي لهذه المسألة وأخذت منه مساحة كبيرة في الردود على هذه الدعوات، ومن هذه الكتابات ما

أهداف الاستعمار الكامنة تمثلت في السيطرة على عالم الأفكار الإسلامي ومرجعياته العقدية

الاستعمار سعى إلى القضاء على الطاقة الفكرية والروحية بالمجتمع المسلم

سطره محمد رشيد رضا (1865 – 1935م) تحت عنوان «الخلافة أو الإمامة العظمى»، مؤكداً وحدة الخليفة ووحدة الأمة ومقاصد الناس من الخلافة وتأثير الخلافة في إصلاح العالم الإسلامي، كما كتب مصطفى صبري (1869 – 1954م) «النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة»، أكد فيها أهمية الخلافة للعالم الإسلامي وعارض دعاوى القائلين بتفكيكها وإلغائها من الحياة الإسلامية.

وبعد سقوط الخلافة (1924م) أصبحت تلك القضية مثار جدل على صفحات الصحف والجرائد والمنابر المختلفة، وثبت العقل الإصلاحي -ولا سيما الحركي منه- هذه المسألة في أذهان تابعيه على أساس أنها قضية وجودية للأمة الإسلامية، وأن أي شكل للرئاسة (الذي أنتجته الدولة القومية) هو شكل يتعارض مع مسألة الإمامة في الإسلام، أو على أخف الآراء ليس هو الشكل الأمثل للحكم من المنظور الإسلامي، وقد عانى العالم الإسلامي سياسياً واجتماعياً وفكرياً من هذه المسألة إلى وقتنا الحاضر.

الثالث: المشروع التغريبي

إن خطط الاستعمار تجاوزت ما يتعلق بالاستعمار المادي (الاقتصادي والسياسي) وهو الوجه الظاهر للاستعمار، وإنما تمثلت أهدافه الكامنة في السيطرة على عالم الأفكار الإسلامي وموجهاته الأساسية ومرجعياته العقدية، إما بالإحلال الكامل لفلسفته ومرجعيته، وإما بالتشكيك في المرجعيات الفكرية الأصيلة لهذه الشعوب المستعمرة، وإما التشويه المتعمد للمفاهيم الثابتة والتصورات الراسخة في النموذج الحضاري لتلك الشعوب.

وكان الاستعمار حين اقتحم العالم الإسلامي في هذه المرحلة الجديدة قد أعد مخططه على النحو الذي يكفل له تغيير العقيدة والقضاء على مقوماتها الأساسية عن طريق التعليم والثقافة، واعتبر هذه الحركة القائمة على الغزو الثقافي والتغريب الفكري كبرى معاركه وأعظم عوامل تثبيت قواعده، وذلك من خلال مقصدين أساسيين لعمله، وهما: «إلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية وإحلال القانون الوضعي، والسيطرة على التعليم وتحويله عن أهدافه الطبيعية في بقاء الإنسان المسلم، ونقض مفاهيم الإسلام وتشويهها وتحريفها، والطعن في الإسلام ومقوماته وأركانه وثقافته، ومحاولة القضاء على اللغة العربية، والعمل على تغليب اللغات الأجنبية محل اللغة العربية، والدعوة إلى إحلال الحروف اللاتينية بديلة للحروف العربية»[1].

كما سعى الاستعمار إلى القضاء على الطاقة الفكرية والروحية في المجتمع المسلم ولا سيما عند تلك الفئة القادرة على مقاومته وكشفه ومواجهته والمرابطة في وجهه؛ ولذلك فإن مخططات الاستعمار في مجال الثقافة تقوم على محاولة إبطال مفعول الوجدان الروحي والديني والنفسي والخلقي، وإعلاء شأن المفاهيم المادية، وإطفاء مفاهيم الفكر والروح، والهجوم على مقومات الاعتقاد الإسلامي وأركانه ولغته وتاريخه وثقافته[2].

ويبدو عامل «التغريب» الأكثر فاعلية في العوامل التي أدت إلى هيمنة سؤال الإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث، وذلك لما أنتجه مشروعه الفكري من تباينات حادة في العقل المسلم وفي تصوراته ومفاهيمه انعكست بدورها على منظومته الفكرية وطريقة تصوره للأحداث والوقائع وتفسيره لها؛ وهو ما يشير إليه طارق البشري بقوله: «إن من أخطر وجوه الإفساد القيمي في هذا الشأن أن ما كان يعتبر عاملًا داخليًا صار يعتبر عاملًا خارجيًا في تقويم أحداث التاريخ نفسه، وانعكس الوضع؛ فصار ما هو عامل خارجي كالحملة الفرنسية على مصر، صار يعامل أحيانًا كما لو كان عاملًا داخليًا، وذلك عندما ينظر إليه البعض باعتباره عنصرًا مساهمًا وباعثًا للنهوض والتقدم. وقد جرى له هذا التقويم تحت إملاء المفهوم السائد عن وحدة

العصر بالمعنى الأممي والحضاري، وما ترتب على ذلك من اغتراب والتحاق برباط التبعية مع الغرب. والالتحاق المعني هنا ليس التحاقاً ماديًا ولا سياسيًا ولا اقتصاديًا ولكنه التحاق يتعلق بالوعي»[3].

ويضيف مؤكدا اتصال واستمرار حركة التغريب وتغييب الوعي وتحقيق الانفصال عن الجذور والتاريخ والتشتت الحضاري بقوله: «وأحسب أن القيمة السائدة لدينا الآن عن «المعاصرة» أو «وحدة العصر الحديث» بمعناها الأممي والحضاري هي من أسس ما يروج من قيم ومفاهيم تنتج اختلاط الوعي بالذات، وهي من أسس ما نعاني من اغتراب واستلاب حضاري، ولا يقتصر أثرها على إفساد نظرنا إلى واقعنا ووقائعنا من منظور خاص بنا ومتميز، ويرعى صالحنا الحضاري والمادي، ولكنه يمتد إلى نظرنا إلى ماضينا، فيعيد تشكيله على غير ما قام في الواقع الماضي، كما أنه يقيم التبعية والتجزؤ، لا في الواقع وحده ولكنه يقيمها في الوعي ذاته»[4].

سؤال الإصلاح والمشروع التغريبي:

يمكن تصنيف موقف الفكر الإصلاحي في مواجهة المشروع التغريبي إلى المواقف والاتجاهات التالية:

1 - اتجاه الرفض والتعبئة: انشغل رواد هذا الاتجاه بتعبئة الوجدان المسلم ناحية الرفض الكامل للمشروع التغريبي من حيث المبدأ، واهتم العقل الإصلاحي في ذلك الرفض ببيان ما يلي:

- الغرب ليس مخلِّصاً للأمة من أزمتها الحضارية.
- كشف أهداف التغريب الكامنة التي تتعلق بالهوية.
- الترويج لمقولة «أن كل ما يأتي من الغرب شر».
- نقد المتشبهين بالغرب من أبناء الإسلام.

من رواد هذا الاتجاه: جمال الدين الأفغاني (1838 – 1897م)، ومحب الدين الخطيب (1868 – 1969م)، ومصطفى صبري (1889 – 1954م)، وجلال آل أحمد (1923 – 1969م).

2 - اتجاه الردود والمقاربات: انشغل العقل الإصلاحي هنا بالرد على الشبه والاتهامات التي وجهها التغريبيون إلى الإسلام وأهمها ربط الإسلام بحالة تخلف المسلمين، ومن القضايا التي ناقشها هذا الاتجاه:

- الإسلام والمدنية.
- الإسلام والعلم.
- الإسلام والحياة.
- نفي الكهنوتية عن الإسلام.
- الكشف عن اختلاف معنى الدين في الإسلام عنه في المسيحية.

من رواد هذا الاتجاه: محمد عبده (1841 – 1906م)، ومصطفى الغلاييني (1886 – 1944م)، ومحمد رشيد رضا (1865 – 1953م)، وأحمد عزت باشا (1864 – 1937م).

3 - اتجاه المقارنات والترجيح: انشغل الفكر الإصلاحي هنا بالمقارنة بين النموذجين الإسلامي والغربي فيما يتعلق بالمفاهيم والتصورات التي يتضمنها كلا النموذجين، ومن القضايا التي اهتم بتناولها هذا الاتجاه:

- الرؤية الاجتماعية بين النموذج الإسلامي والنموذج الغربي.
- نظرية المعرفة بين النموذج الإسلامي والغربي.
- القانون الغربي والشريعة الإسلامية.
- مبادئ النموذج الإسلامي والنموذج الغربي.
- مصادر النموذج الإسلامي والنموذج الغربي.

من رواد هذا الاتجاه: محمد باقر الصدر (1935 – 1980م)، ومحمد حسين الطباطبائي (1903 – 1982م)، وعبدالقادر عودة (1906 – 1980م).

أهم ما يميز هذه الردود في مواجهة المشروع التغريبي ما يلي:

أ- تعد هذه المرحلة مرحلة تأسيسية لمقاومة التغريب وأنصاره في الواقع الإسلامي، بحيث شكلت النواة الأولى لتكوين مدرسة حضارية إسلامية تسعى ليس فحسب للتخلص من الاستعمار الفكري، وإنما للتفكير في بناء نهضة ذاتية مقابلة للنهضة الأوروبية، وكأن التغريب كان دافعاً أو ظاهراً لسؤال الإصلاح والتجديد في الأمة.

ب- تعد هذه المرحلة أيضاً وما صاحبها من أفكار تفاعلت على متصل المشهد الفكري الإسلامي، كاشفة لحقيقة جوانب متعددة من التغريب، وكاشفة لحقيقة مزاعم «التنويريين» الذين حملوا كل نفايات الغرب إلى العالم الإسلامي، وزعموا صحتها وسلامتها للحياة الإسلامية، فتأسست في تلك المرحلة اتجاهات نقد الفكر الغربي، بالبحث في أصوله وسياقات نشأته، وكانت سمة مميزة من نقل المدرسة الإسلامية من الرفض المطلق للغرب القائم على أساس عاطفي وشحن وجداني (اتجاه الرفض والتعبئة) إلى جانب علمي تأسيسي يعي غايات الغرب ويعي تناقضاته (اتجاه الوعي).

جـ- كشفت أيضاً هذه المرحلة دعاوى التغريب حول أنه هو المخلص لأزمتنا الحضارية، واتضح أنه أضاف أزمة جديدة بوجوده غير الشرعي في البيئة الإسلامية، ومناهضة الأصول والمرجعيات الإسلامية، كما أوضح مفكرو هذه المرحلة أن النموذج الغربي لا يصلح إلا لبيئته فقط، ولا يمكن استنساخه في أماكن أخرى.

د- بيَّن مفكرو هذه المرحلة الفرق بين الإسلام والكهنوتية الأوروبية؛ فالإسلام ليس هو دين أوروبا الكهنوتي، وأن الإسلام دفع الإنسان إلى العلم وبناء حضارة قائمة على أساس العقل، وأن المسلمين في ظل الإسلام أسسوا المدارس والجامعات واشتغلوا بكافة أنواع العلوم وتركوا تراثاً بشرياً كبيراً قوامه المبادئ الإسلامية والنشاط العقلي للمسلمين.

هـ- اتسمت هذه المرحلة -أيضاً- بعقد المقارنات العلمية والموضوعية بين إسهامات ورؤى الإسلام في مجالات الحياة الإنسانية، وإبراز تفوق الإسلام فيها كما في القانون، ونظرية المعرفة، والنظرية الاجتماعية، وطرح رؤى معرفية توليدية من منظور الإسلام في مقابلة الرؤى الغربية وتجلياتها لاسيما في مجال الإنسان والمجتمع والمعرفة.

و- طرح أسس نقدية للنموذج المعرفي الغربي وتجلياته، وبيان خصوصية هذه الأصول وارتباطها بمكان نشأتها، والتشكيك في عموميتها وصلاحيتها الكونية، وشكل هذا الطرح أسساً مهمة لتطور الموقف الإسلامي من المشروع الغربي.■

الهوامش

(1) أنور الجندي: الاستعمار والإسلام، القاهرة، دار الأنصار، ص24.
(2) المرجع نفسه، ص18.
(3) طارق البشري: «الإصلاح والتجدد في أمتي صناعة محلية وحضارية» في: الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، ص 8.
(4) السابق نفسه.

www.mugtama.com

من مقاصد الإصلاح السياسي في الإسلام

السياسة في الإسلام، كما أورد ابن القيم عن ابن عقيل رحمهما الله تعالى: ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نزل به وحي[1]، وهو ما كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم في المدنية من الناحية السياسية -ومفهومُها شامل- نموذجاً مثالياً للإصلاح، ومن بعده الخلفاء الراشدون.

ويمكننا مما سبق أن نقول: إن الإصلاح السياسي هو الوصول بأحوال الناس وشؤونهم إلى الوضع الصحي الصالح الذي يجعل حياة الناس كريمة مستقرة مطمئنة في ظل تعليمات القرآن والسُنة وتجربة الراشدين.

د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

للإصلاح السياسي مقاصد وغايات في الإسلام، وهي ما تصلح به الدنيا لتنتظم أحوالها، وتتحقق مصالح العباد فيها، والحديث عن مقاصد الإصلاح السياسي يتطلب استحضار جملة من المقاصد الكبرى التي يهدف الإصلاح السياسي لتحقيقها في مؤسسات المجتمع والدولة ونظمها؛ لأنه لا قيمة للإصلاح السياسي إذا لم يُفْضِ إلى إحداث التغيير المطلوب في المجتمعات وأنظمة الحكم.

ومن المهم في هذا الصدد أن نسترشد بمقولة الماوردي حين قال: «اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتئمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرعت، وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح»[2]، لكننا سنتقدم على كلامه بمقصد أعم وأشمل، وأدخل في الأصلية دون التبعية؛ إذ إنه مقصد المقاصد وغاية الغايات، وهو

من طليعة مقاصد الإصلاح السياسي امتثال أمر الله تعالى والدخول في رضاه والبعد عن سخطه

امتثال أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المقصد الأول: امتثال أمر الله تعالى:

إن أول المقاصد المرجوة من كل عمل أو تصرف هو السعي لتحقيق مراد الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه والسعي لرضاه، والقرآن الكريم قد تحدث عن الفساد والإفساد والصلاح الإصلاح؛ فقد أكد القرآن الكريم على الصلاح والإصلاح ونوه بالصالحين والمصلحين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: 170)، وفي بيان قانون من القوانين الإلهية في الاجتماع البشري ذكر أن الله تعالى لا يمكن أن يهلك قرية وأهلها مصلحون إلا إذا فسدوا وظلموا، قال عز شأنه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: 117).

وفي المقابل، أورد القرآن الكريم أن الله تعالى لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ (البقرة: 205).

وحذر سبحانه وتعالى من عاقبة المفسدين، فقال: ﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: 86)، ووضع الله تعالى قاعدة إلهية وسُنة ربانية جارية، حين قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: 81).

وهذا يؤكد أن من مقاصد الإصلاح السياسي، بل من طليعة هذه المقاصد، هو امتثال أمر الله تعالى والدخول في دائرة رضاه والبعد عن دائرة سخطه، ومن المعلوم أن كل ما يأمرنا به وينهانا عنه فيه صلاحنا دنيا وأخرى، وهذه مجموعة من المقاصد مجتمعة في مقصد واحد هو امتثال أمر

الله تعالى، وهو مقصد أصلي تنبثق منه كل المقاصد.

المقصد الثاني: امتثال أمر رسول الله وإقامة خلافته والنيابة عنه:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتأمير أمير في السفر، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إذا كنتُم ثلاثة في سفر فأمِّروا عليكم أحدَكم، فذاك أميرٌ أمَّرَه رسولُ الله»[3]، وإذا كان هذا هو الأمر في شأن السفر، وبحق ثلاثة أفراد، فمن باب أولى انتظام مصالح الناس باختيار حاكم يحرس دينهم ويسوس دنياهم في ضوء دينهم.

ومن باب الإصلاح السياسي نهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يتكسب الحكام والولاة من مواقعهم ومناصبهم، فقد أخرج البخاري ومسلم بسندهما عن أبي حميد الساعدي قال: اسْتَعْمَلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا منَ الأزْدِ، يُقالُ له ابنُ الأُتْبِيَّةِ على الصَّدَقَةِ، فَلَمّا قَدِمَ قالَ: هذا لَكُمْ وهذا أُهْدِيَ لي، قالَ: «فَهَلّا جَلَسَ في بَيْتِ أبِيهِ أوْ بَيْتِ أُمِّهِ، فَيَنْظُرَ يُهْدى له أمْ لا؟ والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا يَأْخُذُ أحَدٌ منه شيئًا إلّا جاءَ به يَومَ القِيامَةِ يَحْمِلُهُ على رَقَبَتِهِ، إنْ كانَ بَعِيرًا له رُغاءٌ، أوْ بَقَرَةً لَها خُوارٌ، أوْ شاةً تَيْعَرُ ثُمَّ رَفَعَ بيَدِهِ حتّى رَأَيْنا عُفْرَةَ إبْطَيْهِ: اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ ثَلاثًا»[4].

وقد قرر علماء الفقه السياسي أن منصب الخلافة هو خلافة عن النبي ونيابة عنه، فهذا ابن خلدون يقول: «الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها.. فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»[5]، وعرفها ابن أبي زيد القيرواني فقال: «رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابةً عن النبي صلى الله عليه وسلم»[6].

وقيام الحاكم بعد الحاكم يخلف بعضهم بعضاً لتحقيق هذه الوظيفة هو امتثال كذلك لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل بهدي الصحابة الذين رفضوا أن يقيموا ليلة واحدة بغير خليفة حتى أخروا لهذا الغرض دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أن الإصلاح السياسي لن يتم بغير حاكم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

من باب الإصلاح السياسي نهي النبي أن يتكسب الحكام من مناصبهم

خلافة الإنسان في الأرض وصلاحه مرهونان بصلاح الأرض وعمارته لها وعبادته فيها لا تكون إلا بصلاحها الشامل

المقصد الثالث: تحقيق غايات خلق الإنسان في الأرض:

خلق الله تعالى الإنسان، وجعل منه خليفة في الأرض، وطلب منه عمارتها، وأمره بعبادته، وقد قرر الراغب الأصفهاني أن كل نوع من الخلق إنما أوجده الله تعالى لفعل يختص به، ثم قال: «والفعل المختص بالإنسان ثلاثة أشياء:

1 - عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61)، وذلك تحصيل ما به تزجية المعاش لنفسه ولغيره.

2 - وعبادته المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)، وذلك هو الامتثال للباري عز وجل في أوامره ونواهيه.

3 - وخلافته المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 129)، وغيرها من الآيات، وذلك هو الاقتداء بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة»[7].

فخلافة الإنسان في الأرض وصلاحه مرهونان بصلاح الأرض، وعمارته لها وعبادته فيها لا تكون إلا حال صلاحها الشامل.

ابن عاشور: المقصد العام من التشريع حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان

المقصد الرابع: حفظ نظام المجتمعات والأمة:

لا يحفظ نظام المجتمع إلا بصلاح الإنسان، ولا ينصلح الإنسان إلا بإصلاح المجتمع إصلاحاً شاملاً، وفي حالة انتشار الفساد وممارسة الإفساد لا يمكن للمجتمع أن يكون مستقراً ولا مستمراً، ولا يمكن أن يتمتع بقوة نسيجه التي نزلت من أجلها كثير من نصوص الشريعة الإسلامية.

وقد قرر العلامة محمد الطاهر بن عاشور أن «المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان»[8].

وينقل عنه تلميذه العلامة محمد الحبيب بلخوجه قوله: «والأديان السماوية كلُّها تقصد ممن خوطبوا بها حفظ نظام العالم وصلاح أحوال أهله؛ فوظيفتها تلقين أتباعها ما فيه صلاحهم ممّا قد تحجبه عنهم مغالبة الميول، وسوء التبصّر في عواقب الأمور، جاء الإسلام فكان خاتمة الأديان، واتّسم بعالَمية الرسالة، واتسعت أصول دعوته وفروعها، وامتزج فيه الدين بالشريعة، فضبط للأمة أحوال نظامها الاجتماعي في تصاريف الحياة كلها، وألزم المتمسكين بعقيدته الخاضعين لسلطانه اتباع ما خطط لهم من قوانين في المعاملات وغيرها.

واقتضى هذا الوصف أن تكون للإسلام دولة تمكن القائمين عليها من تحكيم شريعته، وتنفيذ قوانينه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: 19)، وقد دعا البارئ سبحانه إلى وجوب الأخذ بها، أي بالفطرة، وبما ترتبط به من التوحيد، والحق، والعدل، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

www.mugtama.com

حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: 30)، فتكون الفطرة والتوحيد والحق والعدل لدى المؤمنين استجابة لأمر الله وتحقيقاً لإرادته، واتخاذَ تشاريعه وأحكامه أساساً لإقامة أصول النظام الاجتماعي بينهم. وفي ذلك إبرازُ حقائقه وخصائصه، وبيانُ سبل الإصلاح للفرد وللمجتمع».

ويعقب بلخوجه قائلاً: «ويَنفُذُ شيخنا رحمه الله من هذه الحقائق الدينية الإسلامية إلى الصميم من موضوعه المتمثل في الإصلاح بأشكاله المختلفة؛ فيبحث عن جملة قضايا من بينها ما نوّه به من: إصلاح الاعتقاد، وإصلاح التفكير، وإصلاح العمل. وإذا كانت أصول عقيدة الإسلام هي وحدانية الله تعالى، وأنها أساس تفكير الإنسان فيما هو مرتبط بحاجاته، نبا عنه الباطل، وتلاشت من حوله الأوهام، وكان التهيؤ لقبول التعاليم السديدة، والعمل الصالح، وإصلاح التفكير بحسب التدبير لشؤون الحياة العاجلة والآجلة، ابتغاء النجاح في الحياتين الدنيا والأخرى»[9].

المقصد الخامس: جلب المصالح وتكثيرها ودرء المفاسد وتقليلها:

نزلت الشريعة الإسلامية لمقصد أكبر وأعظم وهو جلب المصالح للعباد ودرء المفاسد عنهم، فالله تعالى «أمرهم بتحصيل مصالح إجابته وطاعته، ودرء مفاسد معصيته ومخالفته؛ إحساناً إليهم، وإنعاماً عليهم؛ لأنه غني عن طاعتهم وعبادتهم. فعرفهم ما فيه رشدهم ومصالحهم ليفعلوه، وما فيه غيهم ومفاسدهم ليجتنبوه، وأخبرهم أن الشيطان عدو لهم ليعادوه ويخالفوه، فرتب مصالح الدارين على طاعته واجتناب معصيته، فأنزل الكتب بالأمر والزجر والوعد الوعيد، ولو شاء الله لأصلحهم بدون ذلك؛ ولكنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وما ربك بظلام للعبيد»[10].

وقال الإمام ابن تيمية: «الشَّرِيعَةُ جَاءَتْ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، وَأَنَّهَا تُرَجِّحُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ، وَتَحْصِيلِ أَعْظَمِ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَفْوِيتِ أَدْنَاهُمَا، وَتَدْفَعُ أَعْظَمَ الْمَفْسَدَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَدْنَاهُمَا»[11].

وقال تلميذه الإمام ابن القيم: «الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل»[12].

الغرض الكبير المجتمعي من القيام بالإصلاح تحقيق أكبر قدر من المصالح ودرء أكثر المفاسد

من مقاصد الإصلاح تمكين الأمة من اختيار حكامها وتقويمهم وتحقيق وحدتها وإقامة العدل

فهذا المقصد من المقاصد الأصلية للإصلاح السياسي؛ فالغرض الكبير المجتمعي من القيام بالإصلاح السياسي هو تحقيق أكبر قدر من المصالح، ودرء أكبر قدر من المفاسد، حتى على مستوى المصالح تجلب أعظم المصلحتين وتفوت أدناهما، وعلى مستوى المفاسد تدرأ أعظم المصلحتين وتفوت أدناهما.

هذه جملة من مقاصد الإصلاح السياسي في الإسلام، ولا شك أن من هذه المقاصد تتفرع مقاصد أخرى كثيرة تعتبر تبعاً لها وفروعاً عنها، ومنها: حماية المجتمع من الاستبداد ومخاطره، وتوسيع دائرة الشورى من خلال منظومة الإصلاح السياسي، وتمكين الأمة من أداء وظائفها: في اختيار حكامها وتقويمهم، واستثمار ثرواتها، وتحقيق وحدتها، وإقامة العدل الشامل، وتوفير الرفاه الدائم، وكفالة الحريات العامة؛ فكل هذه مقاصد تتفرع على المقاصد السابقة، وهي مقاصد معتبرة تبين أهمية القيام بالإصلاح السياسي وضرورته، لما له من منافع كبرى تعود على الفرد والمجتمع والأمة.■

الهوامش

(1) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: 29. دار عالم الفوائد. 1428هـ.

(2) أدب الدنيا والدين: 133. دار مكتبة الحياة. 1986م.

(3) أخرجه ابن القطان في الوهم والإيهام: 5/290، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 5/258: «رجاله رجال الصحيح خلا عمار بن خالد وهو ثقة»، وقال: «إسناده صحيح»، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج مشكل الآثار 5/43: عن رواية أبي الأحوص عن عبد الله «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(4) أخرجه البخاري (2597)، ومسلم (1832)، واللفظ للبخاري.

(5) تاريخ ابن خلدون 1/239. دار الفكر. بيروت. الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م.

(6) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: 1/106. دار الفكر. 1415هـ - 1995م.

(7) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 82-83. تحقيق أستاذنا د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. دار السلام - القاهرة. 1428هـ - 2007م.

(8) مقاصد الشريعة الإسلامية: 200. تحقيق محمد الطاهر الميساوي. طبعة دار النفائس. 1999م.

(9) محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: 1/675. طبعة قطر. 1425هـ. 2004م.

(10) القواعد الكبرى للعز بن عبد السلام: 1/ 5-6. طبعة دار القلم. الطبعة الأولى. 1421هـ. 2000م.

(11) مجموع الفتاوى: 20: 48. طبعة مجمع الملك فهد. 1416هـ/1995م.

(12) إعلام الموقعين عن رب العالمين: 3/ 11. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. 1411هـ - 1991م.

الحديث عن السياسة والإصلاح يجرنا لإلقاء الضوء على الدين الذي هو طريق الإصلاح الحقيقي، وعلى الحديث عن السياسة وكيف أنها من الدين، لكن هناك من يسعى لتطبيق البدع الأوروبية الغريبة عن أوطاننا؛ من عَلمانية، وفصل الدين عن السياسة.

ومن منطلق ديني كمسلم، وحبي لأوطاني، وولائي لأمتي، أكتب هذه الكلمات.

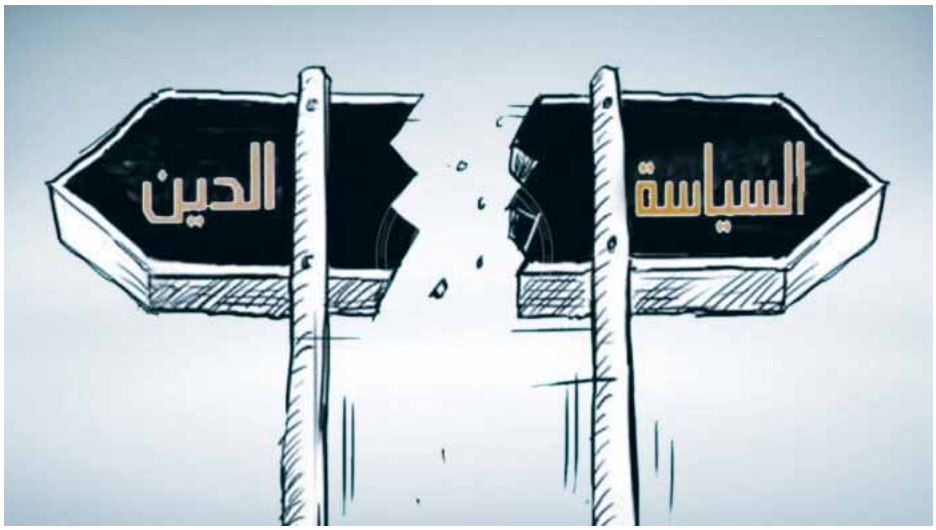

بدعة العَلمانية وفصل الدين عن السياسة

لندن - د. أحمد عيسى:
كاتب وأديب

لم يرد لفظ «السياسة» في كتاب الله الكريم، وإن جاء الحديث فيه عن الصلاح والإصلاح، والحلال والحرام، والحكم والشورى وغير ذلك من المعاني التي اشتمل عليها لفظ «السياسة»، ولكن السياسة في الشريعة استخدمت بمعناها اللغوي، وهو القيام على شأن الرعية من قِبَل ولاتهم بما يصلحهم، وما يحتاج إليه ذلك من وضع تنظيمات أو ترتيبات إدارية تؤدي إلى تحقيق هذه المصالح[1]، وللسياسة جانبان؛ أحدهما تأصيلي، والآخر عملي تطبيقي، والسياسة الشرعية ما كانت مراعية للشرع في الجانبين، تلتزم به وتتقيد، ولا تخرج عنه[2].

فصل الكنيسة عن الدولة بأوروبا كان لأسباب مختلفة عن الموروث الثقافي والديني للأمة الإسلامية

لا يجوز في عقيدة الإسلام أن يخضع المسلم لأمر قيصر وهو قادر على إخضاع قيصر لأمر الله تعالى

لما ظهر الفصل بين الكنيسة والدولة في أوروبا، كان لأسباب مختلفة عن الموروث الثقافي والديني للأمة الإسلامية، وبالتالي فإن تطبيق النموذج الأوروبي مخالف لديننا الذي لا يفرق بين الدين والدولة، كما أن الديانة المسيحية بعد تحريفها وسيطرة الكنيسة عليها، لم تعد صالحة، خاصة بعد أن جاء الإسلام بشرائعه السمحة وأحكامه الشاملة لكل مناحي الحياة؛ صلاحاً وإصلاحاً واستصلاحاً.

لقد ظهرت العَلمانية في المجتمع الأوروبي نتيجة الطغيان الكنسي، والصراع بين الكنيسة والعلم في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهذا الصراع يعتبر من أعمق وأعقد المشكلات في تاريخ الفكر الأوروبي، ثم وقعت الثورة الفرنسية التي كانت فاتحة عصر جديد ضد الكنيسة والملاك الإقطاعيين، ثم ظهر الفكر اللاديني ومدارسه الإلحادية التي سعت إلى تقويض الدين واجتثاث مبادئه من النفوس[3].

وتم تنفيذ الفصل في فرنسا بسبب النقد الاجتماعي الثوري للتسلسل الهرمي الكنسي الثري، وكان الفصل بين الكنيسة والدولة في وقت لاحق في الاتحاد السوفييتي والبلدان الواقعة تحت نفوذه على أساس اتجاه معاكس، لم تكن المحاولة لتقييد الدور العام للكنيسة فحسب، بل كانت أيضاً للعمل على اختفائها التدريجي، واستبدال أيديولوجية علمانية بالكنيسة[4].

ترجع مقولة: «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»، إلى ما جاء في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس: «ثم أرسلوا إليه قوماً من الفريسيين والهيرودسيين لكي يصطادوه بكلمة، فلما جاؤوا قالوا له: يا معلم، نعلم أنك صادق ولا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، بل بالحق تعلم طريق الله، أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا؟ نعطي أم لا نعطي؟ فعلم رياءهم، وقال لهم: لماذا

تجربونني؟ ائتوني بدينار لأنظره، فأتوا به، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ فقالوا له: لقيصر، فأجاب يسوع وقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فتعجبوا منه»[5].

جاء في شرح ذلك أنه قد اجتمع شمل الأعداء للوشاية والإيقاع بالسيد المسيح عليه السلام، فالفريسيّون هم اليهود المتعلمون، ويمثلون الأمة اليهودية، والهيرودسيون هم أتباع هيرودس ممثل الرومان المحتلين.

وسألوه بعد مدحه، ليفقد حذره منهم، عن شريعة دفع الضرائب لقيصر، ومن خبثهم أنهوا سؤالهم بالعبارة: «نعطي أم لا نعطي؟»، فإن قال: نعم، اتهموه بمحاباة قيصر وولائه للرومان، وإن قال: لا، اتهموه بمعاداة قيصر والتحريض ضده، لكن كشف السيد المسيح غرضهم، وفاجأهم بالسؤال: «لماذا تجربونني؟»، وأكمل حديثه بطلب دينار، ثم سأل سؤالاً ثانياً عن صاحب الصورة والكتابة على وجهي العملة، فأجابوا: قيصر، فأجاب المسيح بحكمته إجابة لم يتوقعها أحد منهم، بل خيبت آمالهم في القبض أو الشكاية عليه[6].

العلاقة بين الدين والدولة

يقول العقاد: «إن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية، وظواهرها الاجتماعية، هو المزية الخاصة في العقيدة الإسلامية، وهو المزية التي توحي إلى الإنسان أنه «كلٌّ» شامل، فيستريح من فصام العقائد التي تشطر السريرة شطرين، ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق»[7].

يريد أن يقول: إن بعض الديانات، كالمسيحية، ارتضت أن تقسم الحياة نصفين؛ نصفاً للدين تقوم به الكنيسة، ونصفاً للدنيا تقوم به الدولة، وهو أمر ليس أصلاً من الدين.

فالإسلام يجعل الكون كله والخلق كلهم ملكاً لله تعالى، وليس لقيصر فيه ذرة واحدة، فقيصر وما لقيصر لله الواحد القهار، والحياة كُلٌّ لا يتجزأ، ولا ينفصل فيه دين عن دولة، ولا اقتصاد عن أخلاق، ولا فرد عن أسرة، ولا أسرة عن مجتمع، فلا يجوز في عقيدة الإسلام أن يخضع المسلم -مختاراً- لأمر قيصر، وهو قادر على إخضاع قيصر لأمر الله تعالى، ولا يجوز أن يعطي ظاهره لقيصر، وباطنه لله سبحانه[8].

كما ظهرت بدعة أخرى، بمصطلح

الصيداوي: هناك نخب تدعي العلمانية وهي تقف مع الدكتاتوريات وتشن الحروب على المتدينين

العلمانية تعتبر المعجم القرآني شكلاً من أشكال الدين الفاسد وهو اعتقاد شركي ونهج إلحادي

العَلمانية، لتنكر مرجعية الدين في الحياة، يقول الصيداوي، أستاذ علم الاجتماع: «إن العلمانيين العرب اختلطت عليهم الأمور فأصبحت العلمانية هي سب العروبة والإسلام على عكس العلماني الغربي الذي يقبل بالهوية القومية والديانة المسيحية»، وإن هناك «نخباً تدعي العلمانية وهي تقف مع الدكتاتوريات وتشن الحروب على المتدينين»، وينتقد الكاتب والإعلامي عزام التميمي المنادين حالياً بتطبيق العلمانية في العالم العربي قائلاً: إنهم «جزء من نظام دكتاتوري يستخدم تلك المفاهيم للهجوم على الإسلام وإقصاء الإسلاميين»[9].

في بحث مستفيض عن المعنى الصحيح للعلمانية للباحث سامي عامري، وضح أن النقاد يتفقون الآن على أن اصطلاح علمانية ترجمة لكلمة غربية المولد والمحضن «Secularism»، ولذلك فليس بالإمكان أن نجد لها جذراً في المعجم اللساني الإسلامي القديم، وأول من استعمل كلمة «سكيولريزم» بأحد معانيها المعاصرة هو الكاتب الإنجليزي الاشتراكي الملحد «جورج هوليوك» عام 1851م للتعبير عن مذهبه السياسي الداعي إلى فصل النظام الاجتماعي عن السلطان الديني.

وخلص عامري إلى أن مصطلح «عالمانية» في شكله الإنجليزي يعود إلى اللاتينية، وأصله في العربية من السريانية وهو مشتق من «العَالَم» وليس «العِلم»، ولذلك فالشكل الأصوب له هو «العالمانية» لا «العِلمانية»، ولا «العَلمانية».

ثم قدم تعريفاً جديداً هو: «العالمانية مبدأ يقوم على إنكار مرجعية الدين أو سلطانه في تنظيم شؤون الناس، بعضها أو كلها، انطلاقاً من مرجعية الإنسان لإدراك الحقيقة والمنفعة الكامنتين في هذا العالم».

كما أن العالمانية تعتبر المعجم القرآني شكلاً من أشكال الدين الفاسد، وهو اعتقاد شركي ونهج إلحادي، واليوم يتجه المفكرون في الغرب من أنصار العالمانية إلى اعتبارها ديناً من الأديان، ويحاول العالمانيون العرب بكل استماتة إخفاء حقيقتها ومناقضتها للإسلام، وذلك بفكها عن أصلها اللغوي الصحيح، أو عن أصولها الفلسفية الإلحادية؛ ففصل الدين عن السياسة بزعم طهر الدين وفساد السياسة هو هدم للدين لمصلحة السياسة، وتشويه للدين بقصره على الشكل النسكي[10].

إن المناهج البشرية لحكم وإصلاح الأمم تتسم بقصور البشر، وتطرفاتهم، وأهوائهم، وتناقضاتهم، والناس في شوق لكلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، للعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية، وإصلاح التعليم والصحة، ومحاربة الفساد والتسلط والاستبداد.. وكل هذا طريقه الإسلام الحقيقي الذي يحكم إمام المسجد، ورئيس البلد، وصدق القرآن على لسان النبي شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ (هود: 88)، قال القرطبي: «أي ما أريد إلا فعل الصلاح؛ أي أن تصلحوا دنياكم بالعدل، وآخرتكم بالعبادة».■

الهوامش

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج6، ص108.

(2) السياسة الشرعية، تعريف وتأصيل، محمد بن شاكر الشريف، مجلة البيان، العدد 197، المحرم 1425هـ، بتصرف.

(3) العلمانيَّة- نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميَّة المعاصرة، سفر الحوالي، دار الهجرة، 2003م.

(4) Encyclopedia Britannica. The Editors of Encyclopaedia. «Church and state»

(5) إنجيل مرقس، الإصحاح 12، الفقرات 13-17.

(6) شرح الكتاب المقدس- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، تفسير إنجيل مرقس.

(7) الإسلام في القرن العشرين، حاضره ومستقبله، عباس العقاد، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013، ص20.

(8) الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة ناشرون، ص127.

(9) هل تقبل الشعوب العربية «العلمانية» كأساس لنظام الحكم؟ BBC Arabic News، 10 August 2017

(10) العالمانية طاعون العصر: كشف المصطلح وفضح الدلالة، سامي عامري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 2017. ص52، 303.

www.mugtama.com

جمال خطاب

العسكر.. هم الباب الخلفي للحكم الاستعماري

جيوش العالم الثالث صُنعت على عين المستعمر الذي وضع آلياتها حتى تظل مربوطة به للأبد

ما الذي يمنع أغلب دول العالم الثالث من التحول من الاستبداد والتخلف إلى الحرية والتقدم، رغم ما وصل إليه العالم من تقدم غير مسبوق في وسائل وآليات جبارة تدفع وتسهل ذلك التحول، ورغم أن كل المعطيات المعاصرة (التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية) تدفع في اتجاه الحريات بأنواعها وأشكالها السياسية، وعلى رأسها حرية اختيار الحاكم واختيار نظام الحكم الرشيد الشفاف القابل لتداول السلطة؟

وما الذي يحول بين شعوب دول العالم الثالث، والحرية والحكم الرشيد، بعد ما أصبح العالم قرية صغيرة، ولم تعد هناك شعوب معزولة لا تدري عن العالم شيئاً، وتيسرت وسائل وسبل الاتصال والتواصل، ووسائل وسبل الإعلام والتعلم والتعليم؟

لا شك أن هناك أسباباً داخلية ذاتية وأخرى خارجية قوية ومؤثرة تحبس المليارات من البشر في شرنقة التخلف والتبعية وتمنعهم من النهوض والالتحاق بركب العصر الذي يشاهدونه من خلال أجهزة الهواتف المحمولة التي تصل الآن إلى كل ناء وقريب في أنحاء هذا الكوكب المنكوب.

www.mugtama.com

الطبقة الوسطى هي التي تقود التحول والابتكار، وهي التي تحمل على كاهلها عبء التغيير والسير قدماً، وهي التي تقاوم التخلف الذي تشد إليه طبقة المستبدين الأغنياء، وطبقة الفقراء البسطاء، وقد تمت الإشارة إلى هذا الدور لأول مرة بواسطة «توماس روبرت مالتوس» الذي رأي أن التحسين الفكري يحدث على الأرجح في المناطق الوسطى من المجتمع؛ فالطبقة الوسطى هي التي تقود التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي وتناضل من أجله، وهي التي تقيل المجتمع من عثراته، وتساعده في النهوض من كبواته، خاصة بعد الحروب والكوارث الناتجة عن الطبيعة أو الناتجة عن الإنسان، التي تتعرض لها الدول والمجتمعات.

والطبقة الوسطى هي الأكثر ابتكاراً؛ لأنهم يطمحون إلى تحسين وضعهم الاجتماعي والاقتصادي، وهم على استعداد لتحمل المخاطر من خلال القيام بنشاط ريادي يعطل الأنشطة القائمة؛ فهم في وضع أقوى للقيام بذلك، أما الطبقة الغنية فقد حصلت بالفعل على بعض الأصول، وهم في وضع يسمح لهم بإجراء استثمارات أولية، والحصول على مزيد من الائتمان إذا لزم الأمر، ولذلك فليس لديهم الدافع ولا الطموح للتغيير.

طبقة وسطى صلبة

لماذا لم تنهَر كل من ألمانيا واليابان بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية؟ فقد خسرت ألمانيا أكثر من 5 ملايين من خيرة رجالها ونسائها، ودمرت البنية التحتية الصناعية والزراعية والتجارية والحياتية بالكامل في البلاد، وحدث مثل ذلك في اليابان، دمار شامل كان كفيلاً بإعادة هاتين الدولتين قروناً إلى الوراء، ولكن العالم فوجئ بألمانيا واليابان تتصدران المشهد الاقتصادي في العالم بعد سنوات قليلة؛ حيث قامت ألمانيا لتقود أوروبا للتوحد والقوة الاقتصادية، وأبهرت اليابان العالم باقتصاد لا يقهر، يعتمد بالكامل تقريباً على العقل والعمالة الوطنية اليابانية شبه الخالصة.

فما الذي جعل اليابان وألمانيا تنهضان من كبوتهما بهذه السرعة وبهذه القوة؟

إنها النخبة الحكيمة والطبقة الوسطى الصلبة، فبمنتهى رباطة الجأش تمكنت

الطبقة الوسطى هي الأكثر ابتكاراً لأنهم يطمحون إلى تحسين وضعهم الاجتماعي والاقتصادي

ما الذي جعل اليابان وألمانيا تنهضان بهذه السرعة رغم خسارتهما بالحربين العالميتين؟

النخب الوطنية العاقلة المتعلمة الحكيمة في الدولتين أن تستعيد توازنها، بعد أن تعلمت الدرس، وخططت بسرعة لتجاوز الماضي والانطلاق إلى المستقبل؛ ولأن تلك النخب الوطنية الحكيمة تستند إلى طبقة وسطى واسعة صلبة، لا تقل حكمة ولا علماً عن النخبة التي تقود سفينة التقدم والنمو.

نخب التخلف وتخلف النخب!

تحرص أنظمة الاستبداد المحلية ورعاتها من عتاة الاستكبار والاستعمار العالمي على صناعة نخبة سياسية وثقافية مغشوشة، تدعي العلم والحكمة وهي جاهلة وحمقاء، وتدعي الوطنية وهي أقرب للعمالة وموالاة الأعداء، والنخب في الدول النامية عامة وفي الدولة العربية خاصة نخب منفصلة عن واقع مجتمعاتها وعن آماله وآلامه.

فالنخب العربية، كما يقول الباحث د. علي أسعد وطفة، «تعيش أزمة أخلاقية ووجودية لا مثيل لها في تاريخ الحياة السياسية والثقافية في العالم العربي، وقد تجلى هذا الواقع المتأزم للنخب العربية في خضم «الربيع العربي» وثورة الشباب التي كشفت عن ضعف هذه النخب وزيفها وعجزها وعدم قدرتها على أداء دورها التاريخي في توجيه الحياة الثقافية والسياسية في هذه المرحلة التاريخية الصعبة في تاريخ المجتمعات العربية، وقد بينت الأحداث الجسام أن هذه النخب العربية متخلفة في بنيتها، وطبيعتها، ويتجلى تخلفها هذا في انتهازيتها، وتذبذبها وازدواجيتها وتسلطها، وعجزها الكامل عن ممارسة أي نوع من الفعالية التاريخية في زمن الثورات والتغيرات والانفجارات التاريخية.

وهذه النخب متخلفة بطبيعتها وجوهرها، وهي نتاج طبيعي لأوضاع التخلف في المجتمعات القاصرة المتخلفة، وهذا يعني أن النخب في المجتمعات المتخلفة غالباً ما تكون نتاجاً للتخلف وجوهراً له في آن واحد، ومثل هذه النخب موجودة حكماً في البلدان المتخلفة».

والواقع أن النخب في البلدان النامية تربت إما على يد المستبد المحلي الحاكم في مدارس الاستبداد والخنوع، أو في مدارس المستعمر الذي لا يزال يهيمن على الحكام والمحكومين، ويتدخل من خلال نخبه المحلية الطفيلية التي صنعت على عينه، سواء كانت مدنية أم عسكرية، إذا ما خرجت أو حاولت أن تخرج عن خط التبعية والخنوع المرسوم لها.

هكذا، تمنع الدول النامية من التفكير في الانعتاق من التخلف، وتمنع من التطلع إلى مستقبل أفضل، بعوائق داخلية تتمثل في مجتمع ضعيف، ونخبة طفيلية جاهلة، وعوائق خارجية تكرس التخلف وتحرسه وتستثمر الجهل، كيما تستمر هيمنتها للأبد.

حكم غربي شبه مباشر

تأسست جيوش العالم الثالث، وصنعت على عين المستعمر، الذي وضع آلياتها حتى تظل مربوطة للأبد إن أمكن بالمستعمر القديم أو وريثه الحديث، هذه، للأسف، حقيقة يؤكدها الواقع وتدعمها حقائق التاريخ؛ فأغلب الجيوش الأفريقية قامت فرنسا بتأسيسها قبل الانسحاب من مستعمراتها، وأمَّرت عليها أجيالاً من الجنرالات الذين يدينون لفرنسا بالولاء وليس لبلدانهم، وهي التي تقدم لهم كل أنواع الدعم لتكريس الاستبداد والقمع والتخلف والتبعية، وتتدخل فوراً إذا تعرض رجالها في الجيش أو السلطة للخطر.

ففرنسا التي حكمت منذ عام 1524م أكثر من 20 دولة أفريقية على مدار قرابة 3 قرون، ما زالت تتدخل عسكرياً إذا ما تعرضت مصالحها للخطر، رغم أنها مجرد ناهب لثروات الشعوب!

ففي مطلع الستينيات من القرن الماضي، استقلت دولة الجابون عن فرنسا، وتسلم «ليون إمبا»، الذي كان يعمل في سلك الإدارة الاستعمارية في وظيفة عامل جمارك،

الحكم، لكن أطاح به الجيش الجابوني في انقلاب غير دموي، في 18 فبراير 1964م، وبعد يومين فقط قامت القوات الفرنسية بعملية إنزال في ليبرفيل، وأعادت حليفها إلى الحكم، الذي حكم البلاد حتى مات بالسرطان وخلفه في الرئاسة نائبه «عمر بونجو».

وفي عام 1978م، اقتحم مئات الجنود الفرنسيين مدينة كولويزي في الجنوب الشرقي لجمهورية الكونغو الديمقراطية، بعد أن استولى ثوار هناك على المدينة بطلب من الرئيس «موبوتو سيسي سيكو».

وفي عام 1979م، تدخلت القوات الفرنسية في جمهورية أفريقيا الوسطى في عملية أطلق عليها «باراكودا» لطرد «جان بوديل بوكاسا» بعد تقاربه من السلطة مع «القذافي»، ونصَّبت «ديفيد داكو»، الذي كان مستشاراً لـ«بوكاسا»، رئيساً للجمهورية.

وفي عام 1983م، تدخلت فرنسا عسكرياً في تشاد لإنقاذ «حسين حبري»، واستمرت هذه العملية عاماً كاملاً سقط خلالها مئات الآلاف من التشاديين قتلى وجرحى.

وفي عام 2012م، سقط شمال مالي الذي تعتبره فرنسا منطقة نفوذ حيوي، باعتبارها مستعمرة سابقة لها، في قبضة مجموعات مسلحة، وسارعت فرنسا إلى التدخل العسكري هناك، فأرسلت الآلاف من جنودها، في يناير 2013م، لوقف زحف الجماعات المسلحة على باماكو، ضمن عملية عسكرية حملت اسم «سرفال».

وبعد عملية «برخان»، جاءت عملية «سرفال»، و«إيبرفييه»، في كل من مالي وتشاد، في الأول من أغسطس 2014م، لتتخذ بُعداً إقليمياً بررته مصالح فرنسا الإستراتيجية في الساحل الأفريقي والتهديدات التي تواجهها المنطقة، وعلى رأسها محاربة «الإرهاب»، وضمت تلك القوة 3500 عسكري فرنسي، موزعين على 5 قواعد متقدمة مؤقتة، و3 نقاط دعم دائمة ومواقع أخرى، ولا سيما بالعاصمة البوركينية واجادوجو، وعطار الموريتانية، وفق وزارة الدفاع الفرنسية.

فرنسا لم تتدخل في تشاد ومالي وأفريقيا الوسطى فقط، بل تدخلت في جزر القمر وغينيا وبوركينا فاسو وكوت دي فوار وغيرها، ومعروف أن الدافع الرئيس

النخب العربية تعيش أزمة أخلاقية لا مثيل لها في تاريخ الحياة السياسية والثقافية

القوى العالمية المحتكرة للثروة والطاقة والقوة تعمل على سد كل الطرق المؤدية إلى الحرية والاستقلال

للتدخلات الفرنسية حماية المصالح الفرنسية والغربية في أفريقيا الغنية بالنفط والثروات المعدنية، ومحاولة تعزيز الوجود الفرنسي في مناطق تعتبرها فرنسا تقليدياً مراكز نفوذ لها بفعل سابقة الوجود الاستعماري.

رغم ملايين الشهداء الذين ارتفعوا إلى رحاب ربهم ليتحرر الشعب الجزائري المسلم العربي من نير الاستعمار البربري الفرنسي المتعصب للعرق والثقافة واللغة، فقد فوجئ الشعب برجال فرنسا في جيشه الوطني يقفون في وجهه حينما أراد التحرر من التخلف والتبعية، وينقلبون على خياراته الانتخابية التي انحازت لدين وثقافة ولغة الجزائر؛ فقام ضباط فرنسا -أو من اصطلح على تسميتهم في الجزائر بـ«الضباط الجانفيين» (نسبة إلى شهر يناير الذي يسميه الجزائريون جانفي، الموالين لفرنسا)- بالاستيلاء على الحكم وإدخال الجزائر في عشرية الدماء السوداء، ومعلوم أن الجزائر ما زالت تعاني من التدخل الفرنسي حتى يومنا هذا، ولن يتركوها وشأنها بإرادتهم.

والدور الفرنسي في ليبيا وتونس والمغرب معلوم للمتابعين ولغير المتابعين لشؤون الشمال الأفريقي، ففرنسا تتدخل باستمرار بشكل سافر، أو من خلال رجالها المزروعين في كل مناطق التأثير، في السياسة والتعليم والإعلام والزراعة والتجارة وكل مناحي الاقتصاد.

أمريكا.. من النفط والغاز إلى الليثيوم

كان وضع اليد على ثروة العراق النفطية الهائلة -حسب تقارير عديدة- وراء التحريض على غزو العراق من طرف مسؤولي شركات نفط أمريكية كبيرة، من بينها مثلاً مجموعة هاليبيرتون النفطية التي كان «ديك تشيني»، نائب الرئيس الأمريكي آنذاك، يتولى إدارتها حتى عام 2000م، ويستدل المحللون على صحة ذلك بأن وزارة الدفاع الأمريكية منحت شركة هاليبيرتون، في نوفمبر 2003م، عقدين مختلفين؛ الأول: بـ7 مليارات دولار لإعادة تأهيل البنى التحتية النفطية العراقية والتزويد بالمنتجات النفطية المكررة في العراق، والثاني: لتقديم دعم لوجستي للقوات الأمريكية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى بقيمة 8.6 مليار دولار، وذلك دون التقدم بعروض مناقصة.

لعنة النفط أطاحت بمصدق

كما أكدت وثائق سرية حكومية بريطانية، حسب شبكة «CNN» وجود علاقة قوية بين شركات ومؤسسات نفطية وعملية غزو العراق، وقالت: إن خططاً لاستغلال الاحتياطي النفطي العراقي تمت مناقشتها بين مسؤولين حكوميين وكبرى الشركات النفطية العالمية، خاصة البريطانية منها (منها: «شل»، و«بي بي»، و«بي جي») قبل عام من تاريخ غزو العراق.

ومعروف الآن كيف تدخلت أمريكا وبريطانيا لتدعم انقلاباً عسكرياً على «د. محمد مصدق»، رئيس وزراء إيران؛ حيث قام «كيم روزفلت»، حفيد الرئيس الأمريكي «ثيودور روزفلت»، لتنفيذ الخطة، وتمكن الحفيد من الوصول سراً إلى إيران ودخول قصر الشاه بعد أن تم لفه ببطانية في أرضية السيارة.

وقد وافق الشاه على الفكرة على أن يقوم قائد الجيش الإيراني «فضل الله زاهدي» بالانقلاب بعد أن يعلن الشاه رسمياً عزل «مصدّق»، الذي علم بالأنباء قبل بدء تطبيق الخطة، فهيّج الناس ضد الشاه وطرده من إيران، وفشلت الخطة الأمريكية البريطانية التي سميت «عملية أي جاكس» ولكن مؤقتاً فقط؛ فقد فرضت أمريكا وبريطانيا مقاطعة اقتصادية جلبت الجوع والفقر للشعب الإيراني، فاستغلت المخابرات الأمريكية هذه الفرصة، ونظّمت المظاهرات عن طريق دفع أجور لكل من يشارك في هذه المظاهرات (باعتراف المخابرات الأمريكية نفسها).

ولواشنطن في دول أمريكا اللاتينية

تاريخ طويل من دعم الانقلابات، فقد دبّرت ودعمت ونفّذت انقلابات وتدخلات عسكرية عديدة هناك.

فقبل مائة عام، احتلّت الولايات المتحدة كوبا وبورتوريكو، ثم دعمت القوات الانفصالية في كولومبيا لتسيطر على مشروع قناة بنما، ثم اعترفت بانفصال بنما عن كولومبيا في العام 1903م لتحصل على القناة، وحافظت على نفوذ لها هناك، وحين تضاربت مصالحها مع الجنرال «مانويل نورييجا»، احتلّت بنما في العام 1989م.

كما احتلّت أمريكا نيكاراجوا في عام 1912م، واحتلّتها مرة أخري في عام 1934م، ودعمت قوات «الكونترا» للإطاحة بالحكومة في عام 1981م؛ الأمر الذي أدى إلى مواجهات دامية.

وفي المكسيك بأمريكا الوسطى، دعمت واشنطن انقلاباً عسكرياً في العام 1913م أطاح بالرئيس «ماديرو»، وأتى بالجنرال «فيكتوريانو هويرتا» رئيساً.

وفي عام 1915م، احتلّ الجيش الأمريكي هايتي، ودعمت واشنطن نظام العبودية بقيادة الدكتاتور «جان فيلبرون جيوم»، ثم انسحبت في العام 1934م قبل أن تعود وتحتلّها بعد 60 عاماً، إثر انقلاب أطاح بنظام «جان برتران أريستيد».

وفي عام 1954م، أطاحت أمريكا برئيس جواتيمالا المنتخب ديمقراطياً «خاكوبو آربنز» بعملية عسكرية، ونصّبت «كارلوس كاستيو أرماس» مكانه، ليفتتح سلسلة من الدكتاتوريات المدعومة أمريكياً.

وفي جمهورية الدومينيكان، دعمت واشنطن الدكتاتور «ليونيداس تروخيو مولينا» ليحكم من عام 1930 وحتى اغتياله في عام 1961م، وفي العام 1965م، تدخّلت للإطاحة بالحكومة اليسارية المنتخبة، عبر جنرالات موالين لها، واضطرت إلى التدخّل المباشر واحتلال البلاد.

واحتلّت الولايات المتحدة جزر جرينادا في عام 1983م بحجة مواجهة النفوذ السوفييتي في المنطقة، ولتبقى الجزيرة تحت النفوذ الأمريكي.

وفي تشيلي، ساندت أمريكا انقلاب «أوجستو بينوشيه»، في عام 1973م، بحسب وثائق للمخابرات الأمريكية التي تم الكشف عنها في العام 2000م.

الدافع الرئيس للتدخلات الفرنسية بأفريقيا حماية مصالحها بالقارة الغنية بالنفط والثروات المعدنية

ولأمريكا مع فنزويلا تاريخ طويل من التآمر، وسياستها معلنة وليست خفية، فهي تعمل علناً ضد «نيكولاس مادورو»، وقد حاولت قبله مراراً الإطاحة بـ«هوجو تشافيز»، وبعد فشل كلّ تلك المحاولات، هدد رئيسها السابق «دونالد ترمب» بأن إرسال قوات أمريكية إلى فنزويلا سيظل خياراً مطروحاً.

وإضافة إلى تلك الانقلابات، دعمت واشنطن انقلابات أخرى عديدة خلال فترات زمنية مختلفة في دول بوليفيا، والبرازيل، والأرجنتين، وكوبا، والدومينيكان، والسلفادور، وجواتيمالا، وجيانا، وهندوراس، والمكسيك، وبنما، وذلك عبر حركات متطرفة ومعادية للديمقراطية ودكتاتوريين دمويين.

الليثيوم من أفغانستان إلى بوليفيا

أظهرت هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية بأن أفغانستان قد تمتلك 60 مليون طن من النحاس بقيمة تقدر بأكثر من 535 مليار دولار بالأسعار الحالية، و2.2 مليار طن من خام الحديد بقيمة تقدر بأكثر من 350 ملياراً بالأسعار الحالية، إضافة إلى 2700 كيلوجرام من الذهب بقيمة تقدر بـ155 مليوناً.

وكذلك تمتلك 1.6 مليار برميل من النفط بقيمة تقدر بـ 100 مليار دولار، إلى جانب 16 تريليون قدم مكعبة من الغاز الطبيعي، كما لدى أفغانستان 1.4 مليون طن من العناصر الأرضية النادرة، واحتياطيات ليثيوم الذي يستخدم لصناعة بطاريات السيارات الكهربائية.

فهل كان الليثيوم والنفط والغاز والنحاس والمعادن الأخرى النادرة سبباً في غزو أمريكا لأفغانستان، كما كان البترول هو الهدف الخفي لغزو العراق، كما أظهرت الوثائق فيما بعد؟

في بوليفيا، اتهم الرئيس السابق «إيفو موراليس»، في مقابلة مع «وكالة الأنباء الفرنسية»، واشنطن بتدبير انقلاب ضده، في عام 2019م، للسيطرة على موارد الليثيوم في بلاده، وكان «موراليس» قد أعلن استقالته بعد نحو شهرين من الاحتجاجات ضد إعادة انتخابه ودعوات من الجيش لاستقالته.

وقال «موراليس»: إنه أجبر على الاستقالة بعد دعم الولايات المتحدة لانقلاب ضده لسعيها في الوصول إلى موارد الليثيوم الهائلة التي تملكها بلاده، التي تقدر بما قيمته 50 – 70% من احتياطيات الليثيوم في العالم، وقال «موراليس»، في المقابلة ذاتها: إن الدول الصناعية لا تقبل أي منافسة.

هكذا تعمل القوى العالمية المحتكرة للثروة والطاقة والقوة والمال على سد كل الطرق التي تؤدي إلى الحرية والاستقلال الحقيقيين اللذين يمران من خلال الحكم الرشيد أمام أغلب أمم الأرض، لكي تظل تمتص كل موارد الكوكب، وتحتكر كل مقدراته، مستغلة في ذلك ضعف وهشاشة المجتمعات التي تسد أمامها كل الطرق، وتجهض كل الفرص التي يمكن أن تخرجها من نفق التخلف والتبعية.■

المصادر

1-https://arabic.euronews.com/201925/12//morales-accuses-us-of-plotting-a-coup-against-him-with-the-aim-of-obtaining-lithium

2 – https://www.aljarida.com/articles/1629649236359726000/

3 – العملية أجاكس، كيف قادت أمريكا الانقلاب على محمد مصدق؟!

4 – قضايا التبعية الإعلامية والثقافية، د. عواطف عبدالرحمن.

5 – النخب العربية: نخب التخلف أم تخلف النخب؟

قضية الأسرى الفلسطينيين.. تعنّت «إسرائيل» مقابل أوراق المقاومة

د. صالح النعامي
كاتب فلسطيني متخصص في الشأن الصهيوني

سلط التحقيق الذي عرضته قناة «الجزيرة»، مؤخراً، من برنامج «ما خفي أعظم»، الأضواء على بعض الاعتداءات الوحشية والانتهاكات الخطيرة التي يتعرض لها آلاف الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني.

وتكمن أهمية ما كشفه التحقيق في أنه تضمن توثيقاً بالصوت والصورة لبعض الممارسات الإجرامية، وأشكال المس الممنهج والمنظم الذي تعتمده سلطات الاحتلال، ويطال كرامة الأسرى وإنسانيتهم وحقوقهم، ومما يزيد من قيمة التوثيق أن المشاهد التي عرضت في التحقيق التقطتها كاميرات مصلحة السجون نفسها، وحصل عليها الصحفي الصهيوني «يوفال برنير»، مراسل صحيفة «هآرتس»؛ الذي قام بتقديمها لـ«الجزيرة».

قادة الكيان الصهيوني يرفضون الموافقة على صفقة بحجم «وفاء الأحرار»

قيادات بـ«حماس» يلمحون إلى وجود مفاجآت لديها تتعلق بقضية الأسرى دون الكشف عن طابعها

من الواضح أن ما وثقه البرنامج من الانتهاكات بحق الأسرى لا يشمل أشكال التعذيب الوحشي البدني والنفسي الذي يتعرضون إليه في أقبية التحقيق على أيدي محققي جهاز المخابرات الداخلية الصهيونية (الشاباك)؛ وهو التعذيب الذي أفضى إلى استشهاد المئات منهم.

إن ما عرضه التحقيق التلفزيوني يفسر الدافعية الهائلة التي كانت وراء تمكن الأسرى الفلسطينيين الستة من التحرر من سجن «جلبوع»، سيئ الصيت قبل ثلاثة أشهر؛ الذين أعيد اعتقالهم بعد ذلك؛ فما كان لهؤلاء الأسرى أن يستثمروا أقصى طاقاتهم وإمكانياتهم البسيطة في تنفيذ مخطط الفرار من السجن بالغ التحصين لولا شعورهم بأن الزنازين التي تؤويهم تمثل في الواقع مقابر أحياء تستحق محاولة النجاة منها بذل أقصى ما في الوسع من جهود؛ ما يفسر مئات المحاولات الفاشلة التي نفذها الأسرى الفلسطينيون منذ العام 1967م للفرار من هذه السجون.

وفي هذا السياق، لا يمكن تجاهل البيئة السياسية التي عرض فيها التحقيق؛ حيث تزامن مع محاولات «إسرائيلية» تهدف إلى الحط من قضية الأسرى وإخراجها من دائرة التفاوض غير المباشر مع المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة؛ حيث إن الصهاينة يرفضون مطالب المقاومة بالإفراج عن الأسرى من ذوي المحكوميات العالية، ولا سيما أولئك الذين أدينوا بقتل جنود ومستوطني الاحتلال مقابل الإفراج عن أسراهم لدى حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

وتحاول «إسرائيل» أن تربط بين ملف أسراها لدى «حماس» وملف إعادة إعمار قطاع غزة؛ في خطوة تهدف إلى محاولة تكبيد المقاومة خسائر سياسية من منطلق توظيف نتائج عدوانها في مايو الماضي في ابتزاز المقاومة، ومساومتها على إعادة ترميم ما دمرته آلتها الحربية؛ بحيث يكون السماح بتنفيذ مشاريع إعادة الإعمار مشروطاً بالإفراج عن جنودها ومستوطنيها الأسرى لدى «حماس»، وليس مقابل الإفراج عن أسرى فلسطينيين؛ تحديداً من الذين أدينوا بقتل جنود ومستوطنين.

ممثلو الكيان الصهيوني وكبار قادته يصرون على أنه لا يمكنهم الموافقة على صفقة بحجم صفقة «وفاء الأحرار»، التي تمت في عام 2011م، وأجبرت حركة «حماس» «تل أبيب» بموجبها على الإفراج عن مئات من الأسرى ذوي المحكوميات العالية من الذين أدينوا بقتل جنود ومستوطنين صهاينة، مقابل الجندي الصهيوني «جلعاد شاليط».

فالمتحدثون باسم الحكومة الصهيونية يدعون أن المجتمع الصهيوني لا يمكنه الموافقة مجدداً على دفع ثمن يوازي الثمن الذي دُفع مقابل الإفراج عن «شاليط»، لكن المحاولات الصهيونية الهادفة لتقليص الثمن الذي تخطط لدفعه مقابل أسراها لدى حركة «حماس» ليس فقط باءت بالفشل؛ بل أن «إسرائيل» تعي أيضاً أنها ستضطر لدفع ثمن أكبر مما دفعته في عام 2011م؛ فحركة «حماس» ألمحت إلى أنها ستصر على إطلاق سراح 1111 أسيراً فلسطينياً من سجون الاحتلال مقابل ما لديها من أسرى صهاينة، فضلاً عن أن عدداً من قادتها أوضحوا أن صفقة تبادل الأسرى القادمة يجب أن تتضمن عدداً من قيادات الأسرى الذين تصر «إسرائيل» على رفض إطلاق سراحهم؛ وضمنهم مروان البرغوثي، أمين سر حركة «فتح» السابق، وأمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد سعادات، وإبراهيم حامد، القيادي البارز في «كتائب عز الدين القسام»، الذي صدر بحقه سجن بعشرات المؤبدات، إلى جانب التزام «حماس» بإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين الستة الذين تمكنوا من الفرار من سجن جلبوع وأعادت

www.mugtama.com

سلطات الاحتلال اعتقالهم.

ومما لا شك فيه أن ما خلط الأوراق في تحقيق «الجزيرة» حقيقة أنه تضمن بياناً مصوراً من حركة مجهولة تدعى «الحرية»، أعلنت فيه عن أسر ضابطين صهيونيين وعرضت فيديو لهما؛ حيث اشترطت الإفراج عن الأسرى في سجون الاحتلال مقابل الإفراج عنهما.

لكن على ما يبدو أن هذا ليس فقط ما في جعبة المقاومة الفلسطينية؛ حيث تلمح قيادات في حركة «حماس» إلى وجود مفاجآت لديها تتعلق بقضية الأسرى دون أن يتم الكشف عن طابع هذه المفاجآت.

من ناحية أخرى، وعلى الرغم من إعلان القيادات الصهيونية تشبثها بمواقفها الرافضة لإطلاق سراح الأسرى المدانين بقتل الجنود والمستوطنين؛ فإن طابع المجتمع الصهيوني الذي يبدي حساسية كبيرة إزاء ضباط وجنود الاحتلال الأسرى لدى المقاومة سيترك تأثيره في النهاية على توجهات القيادة الصهيونية.

تعي الحكومة الصهيونية المعطيات التي كشفت عنها مؤخراً شعبة القوى البشرية في جيش الاحتلال التي تدل على تهاوي الدافعية لدى الشباب الصهيوني للخدمة في الوحدات القتالية وألوية المشاة التي تضطلع عادة بالمسؤولية عن جل الجهد الحربي؛ حيث تدرك هذه الحكومة أن العمل على رفع مستوى هذه الدافعية مجدداً يتطلب إبداء الحرص على مصير الجنود والضباط الأسرى لدى المقاومة؛ حتى يطمئن الجنود وذووهم أن «إسرائيل» لن تتركهم لمصيرهم إذا وقعوا في الأسر، وأنها ستدفع أي ثمن مقابل ذلك.

إلى جانب ذلك، فإن «إسرائيل» تعي أن إمكانية تحرير أسراها لدى «حماس» عبر عمليات عسكرية سرية غير قائمة أصلاً؛ على اعتبار أن مثل هذه العمليات يمكن أن تنتهي بقتل وأسر المزيد من الجنود؛ فجاهزية المقاومة وطابع انتشار عناصرها في قطاع غزة، الذي لا تتجاوز مساحته 365 كلم مربع يقلص من قدرة جيش الاحتلال على مفاجأة الحركة عبر شن عملية تهدف إلى تحرير الأسرى الصهاينة، فضلاً عن أن هناك تقديرات تفيد بأنه لا يوجد لدى «إسرائيل» المعلومات الاستخبارية التي يمكن توظيفها في تنفيذ العمليات الهادفة إلى تحرير أسراها.

«تل أبيب» تدرك أن إمكانية تحرير أسراها لدى «حماس» عبر عمليات عسكرية سرية غير قائمة أصلاً

لا يمكن تحميل المقاومة وحدها مسؤولية ملف الأسرى وعلى «السلطة» ممارسة دورها من خلال مكانتها الدبلوماسية

رفض أمريكي

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن تنفيذ عمليات عسكرية في محاولة لتحرير الأسرى الصهاينة ستؤدي حتماً إلى انفجار مواجهة عسكرية مع المقاومة؛ فإن فرص تنفيذ مثل هذه العمليات ستتدنى من منطلق أنه لا يوجد لدى «إسرائيل» أي مصلحة في اندلاع مثل هذه المواجهة؛ فمثل هذه المواجهة ستنتهي في أحسن الأحوال إلى نفس النهاية التي انتهت إليها المواجهة الأخيرة التي أفضت إلى تهاوي قدرة الردع الصهيونية بشكل كبير، وتسببت في تفجر أول هبة شعبية يقدم عليها فلسطينيو الداخل، التي هددت بشكل غير مسبوق الجبهة الداخلية الصهيونية؛ على اعتبار أن الكثير من هؤلاء الفلسطينيين يعيشون في مدن وبلدات إلى جانب اليهود.

في الوقت ذاته، فإن الموقف «الإسرائيلي» الذي يربط بين مشاريع إعادة إعمار غزة بحل قضية الأسرى الصهاينة لدى «حماس» لا يحظى بدعم الولايات المتحدة؛ حيث عبر وزير الخارجية الأمريكي «أنتوني بلينكن» صراحة عن رفض واشنطن لهذا الأمر، على اعتبار أن إدارة «بايدن» معنية بتبريد الأوضاع في المنطقة بهدف توفير الظروف الإقليمية والعالمية التي تساعدها على تحسين قدراتها على مواجهة الصين.

لكن على الرغم مما تقدم، فلا يمكن تحميل المقاومة وحدها المسؤولية عن النهوض بملف الأسرى وقضيتهم؛ فالسلطة الفلسطينية مطالبة بممارسة دور مهم بسبب مكانتها الدبلوماسية، وعضويتها في العديد من المحافل الدولية.

فما تضمنه برنامج «الجزيرة» يمكن أن يساعد في بناء دعاوى قضائية ضد «تل أبيب» أمام محكمة الجنايات الدولية؛ على اعتبار أن ما عرض يمثل نمطاً من أنماط جرائم الحرب التي ترتكب ضد الشعب الفلسطيني؛ حيث أظهر التحقيق بالدلائل أن الضباط الصهاينة المسؤولين عن الاعتداءات الوحشية التي تعرض لها الأسرى تمت ترقيتهم في السلم القيادي داخل مصلحة السجون.

فإن كانت قيادة السلطة الفلسطينية تدعي أنها ترفض العمل المقاوم المسلح ومتشبثة بالعمل السياسي السلمي؛ فيفترض أن يمنحها ما عرضه تحقيق «الجزيرة» الأدوات لنصرة أسرى الشعب الفلسطيني في سجون الاحتلال عبر المسارعة في تقديم الدعاوى ضد الكيان المحتل أمام المحكمة الجنائية الدولية.

وعلى كل، يتوجب على الفصائل والقوى الجماهيرية والأطر النقابية الفلسطينية في الوطن والشتات أن تمارس ضغوطاً على قيادة السلطة لتوظيف عضويتها في المحافل الأممية في رفع الدعاوى ضد الاحتلال، والتأكد من أن هذه القيادة لا تدفع فقط ضريبة كلامية من خلال إعلانها المتكرر استعدادها لمحاسبة «إسرائيل» في المحافل الدولية.■

القيادي في «النهضة» التونسية أحمد قعلول لـ«المجتمع»:

شعبية الرئيس سعيّد تتضاءل وأنصاره يريدون التخلص منه

تحدث القيادي البارز في حركة «النهضة» أحمد قعلول عن السياسات التي انتهت إليها مؤسسات الحركة المركزية، منذ 25 يوليو الماضي، وتقدير الحركة لمسار الأحداث والسياسات المناسبة والتعاطي مع الأحداث، وأشار إلى أن الحركة وصفت ما حدث بأنه انقلاب كامل الأوصاف والعناصر، وأن قيادات الحركة، وفي مقدمتهم الشيخ راشد الغنوشي، ثم علي العريض، وصفوا ما حدث بـ«الانقلاب».

تونس- عبدالباقي خليفة:

أقر القيادي بـ«النهضة» التونسية أحمد قعلول بأن الأوضاع التي كانت سائدة في البلاد مهدت الطريق للانقلاب، لكن ذلك لا يبرره، الذي جاء استباقاً لتغيير الحكومة بحكومة سياسية، كما كان الحزام السياسي يطالب بذلك.

وكشف قعلول عن أسباب تراجع رئيس الحركة رئيس البرلمان راشد الغنوشي عن الحوار الذي كان مبرمجاً على قناة «حنبعل»، وذلك بطلب من القصر، وتم اللقاء بين الغنوشي، والرئيس قيس سعيّد، وقد وصفه الأول بأنه إيجابي، قبل أن يتفاجأ الجميع بالانقلاب.

الأوضاع التي كانت سائدة بالبلاد مهدت الطريق للانقلاب لكن ذلك لا يبرره

التوجهات الجيوسياسية لسعيّد من العوامل التي ستعجّل برحيل الانقلاب عكس ما فعله بورقيبة وبن علي

وذلك، حسب قعلول، بعد مسار طويل من التعطيل كتعطيل تشكيل المحكمة الدستورية، وتعطيل مكافحة فيروس «كورونا»، وتوجه سعيّد بتعطيل البرلمان وحل الحكومة، وإغلاق العديد من المؤسسات الدستورية على غرار هيئة مكافحة الفساد، والهيئة الوقتية لمراقبة دستورية القوانين.

سيناريو 25 يوليو

وقد تحدث قعلول لـ«المجتمع» عن سيناريو 25 يوليو، والتخطيط لحرق مقرات «النهضة»، والدخول في احتراب أهلي بين النهضويين وخليط من أنصار سعيّد وأنصار المنظومة السابقة، ومنهم أنصار «الدستوري الحر»، وحركة «الشعب»، ومجموعات من البلطجية المأجورين، ما يستدعي تدخل الأمن والجيش، والرد على الرصاصة بوابل من الرصاص.

وأوضح أن جزءاً من ذلك السيناريو لم يقع، ولم يجدوا سوى صورة ذلك الصائل الذي جاء ليحرق مقر «النهضة»، وكيف سقط من السطح، مدللين بذلك على «إرهاب النهضة»!

وبيّن قعلول أن موقف حركة «النهضة» كان عدم الدخول في مواجهة العنف بالعنف، الذي قرر فيه أعداؤها استخدام «الفلام» (نوع من القنابل) والدراجات النارية في المواجهة التي افترضوها، وبعد فشل السيناريو سارعوا إلى إعلان إجراءات الرئيس، وتواصلت الحملة التي تحمّل «النهضة» أعباء الحكم، بيد أن الحقيقة هي أن الانقلاب جاء حتى لا تحكم «النهضة».

وتطرق قعلول إلى الموقف الدولي، ولا سيما الأمريكي والأوروبي، وتحديداً البرلمان الأوروبي الذي أشار في مشروع القرار حول تونس إلى أن هناك ثلاث دول عربية وراء الانقلاب في تونس، لكن هناك أيضاً تدخلاً ودوراً فرنسياً واضحاً في الانقلاب.

وعزا هذا التدخل العنيف من قبل الدول المذكورة كرد فعل على هزائم هذه الأطراف في كل من سورية وليبيا، فأرادوا ضرب تونس كرد فعل من جهة ولموقعها الجيوسياسي المؤثر في الوضع في ليبيا ومستقبل المنطقة.

وحول ما بعد 25 يوليو، ذكر قعلول أن عمليات سبر الآراء التي يجريها الزرقوني (صاحب مؤسسة لسبر الآراء) تتحدث عن أن أكثر من 70% من المستطلعة آراؤهم لا يرغبون في الإجابة؛ وبالتالي لا تعد الـ30% نسبة يمكن البناء عليها في معرفة توجهات

الانقلاب لم يكن ضد «النهضة» بل ضد المسار الديمقراطي ومؤسسات الدولة

من ناصروا الانقلاب بدؤوا يتراجعون وعلى أنصار الحريات مواصلة النضال

الرأي العام، وهي ليست كتلة مع الانقلاب أو مع سعيّد في عمومها، في حين كانت نسبة الرافضين للإفصاح عن الإدلاء بآرائهم هي النسبة المؤيدة لسعيّد، وهي أقل من النسبة التي حصل عليها الغنوشي بعد الثورة التي وصلت إلى 84%.

وبناء على ذلك، فإن شعبية سعيّد تتضاءل باستمرار، وانقلابه لم يكن ضد «النهضة»، فلم يكن في حكومة المشيشي نهضوي واحد، بل ضد المسار الديمقراطي، وضد مؤسسات الدولة.

وبيّن أن شعار «الشعب يريد..» ارتد ضد الانقلاب في مظاهرات «مواطنون ضد الانقلاب»؛ حيث نادى المتظاهرون، في 14 نوفمبر الماضي: «الشعب يريد عودة البرلمان»، و«الشعب يريد تحرير البرلمان».

الدور الجيوسياسي

وأشاد قعلول بالدور الجزائري الذي يساهم في كبح جماح الانقلاب وتغلغل القوى الإقليمية التي تدعمه في تونس، مستشهداً بمقولة الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون: «أتعامل مع الرئيس التونسي ومع رئيس البرلمان».

وتطرق قعلول لمحاولات جر تونس بعيداً عن حلفائها التقليديين باتجاه إيران وروسيا بدعم عربي فرنسي، وكانت أزمة الغواصات الفرنسية التي كانت ستشتريها أستراليا من فرنسا، وكذلك صفقة الطائرات لبلجيكا، وغيرها، واحدة من الإنذارات الأمريكية لفرنسا.

واعتبر قعلول التوجهات الجيوسياسية لسعيّد من العوامل التي ستعجل برحيل الانقلاب، عكس ما فعله بورقيبة، وبن علي، الذي وصل للحكم بدعم سخي من الحلفاء الغربيين قبل جنوح فرنسا نحو الانعزال عن القيادة الأمريكية؛ وهو ما أثر على علاقات سعيّد مع مؤسسات الدولة.

وعن دور «النهضة»، أفاد قعلول بأنها تموقعت مع المؤسسات والجهات التي تستهدفها سياسات سعيّد، وبعد 10 سنوات من الحرية يشعر التونسيون بأنهم مستهدفون باستهداف هذا المكسب من قبل الانقلاب، ومن ناصروا الانقلاب بدؤوا يتراجعون، ونجد اليوم منظومة الانقلاب تريد التخلص من سعيّد، وما على أنصار الحريات والديمقراطية سوى النضال؛ لأنه لا يمكن المحافظة على الرفض الدولي للانقلاب إلا باستمرار النضال والتظاهرات حيث لا ديمقراطية بدون ديمقراطيين.

ودعا قعلول إلى إنجاز مؤتمر الحركة في موعده وتجديد الانخراط، وهو جزء من الفعل الحركي والديمقراطي لمواجهة الانقلاب في أحسن الأحوال، للرد على افتراءات أن «النهضة» انتهت.

وجدّد التأكيد على أن رئيس الحركة لن يترشح لرئاسة الحركة بعد إكمال دورتين، ونحن ذاهبون لقيادة جديدة، وإلى التجديد في وقت يعيش فيه الانقلاب صراعات داخلية لعدم تجانس مكوناته وخلفياته.

وأكد أهمية إعداد بدائل سياسية وعرض ديمقراطي أقوى من خلال تكوين جبهة عريضة قدر الإمكان ضد الانقلاب، وقانون انتخابي، وإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية سابقة لأوانها؛ وهو ما يعني أولاً وضوح البديل السياسي، وضبط علاقة الحركة بشركائها الديمقراطيين، ثم المضمون السياسي الديمقراطي بخصوص البرلمان والحكومة والمؤسسات الدستورية، وكيفية التعاطي مع الأزمة الاقتصادية بعد سعيّد. ■

الرباط- عبدالغني بلوط:

هل يظل «العدالة والتنمية» المغربي رقماً صعباً بدعوته لـ«المعارضة الهادئة»؟

مباشرة بعد تشكيل الحكومة المغربية بقيادة المليادير عزيز أخنوش إثر انتخابات 8 سبتمبر الماضي، وخلافاً للأعراف الديمقراطية التي تقتضي أن تمهل 100 يوم قبل الحكم على عملها، انطلقت موجة كبيرة من الانتقادات على مواقع التواصل الاجتماعي ضد القرارات الرسمية التي اعتبرها البعض انتكاسة لعهد حكومتي «العدالة والتنمية» الأولى والثانية، بل ونقضاً تاماً للوعود الانتخابية المرتبطة أساساً بتحسين مستوى المعيشة لعدد من فئات المجتمع، وكانت سبباً في صعود أحزاب الحكومة، ووصل صدى هذه الانتقادات إلى مجلس النواب خاصة من قبل المجموعة النيابية لحزب العدالة والتنمية.

بعد انتخاب عبدالإله بن كيران، القيادي الإسلامي البارز (رئيس الحكومة الأسبق)، أميناً عاماً لحزب العدالة والتنمية خلال مؤتمره الاستثنائي، خرجت أمانته العامة الجديدة ببلاغها الأول تدعو إلى ما وصف بـ«المعارضة الهادئة» وعدم الانضمام إلى الجوقة التي كانت بعض مكوناتها خاصة من الإعلاميين المؤثرين إلى وقت قريب تساند عزيز أخنوش.

ابن كيران نفسه خرج ليشرح معنى هذه المعارضة، وقال في كلمة أمام أول اجتماع للأمانة العامة للحزب: إن دعوته إلى التهدئة نقطة نظام تدعو إلى الكف عن اللعب بمصالح البلاد والعباد.

وأبرز أن عمل حزبه يجب أن يستند إلى معارضة وطنية معقولة بهدوء وتؤدة، بوصلتها الرئيسة خدمة مصلحة الوطن والمواطن، وتحصين الاختيار الديمقراطي وحماية حقوق المواطنين وحرياتهم الأساسية إلى جانب كافة الشرفاء من مختلف التيارات الوطنية الديمقراطية.

المحلل السياسي والأكاديمي المغربي علي فاضلي أبرز، في تصريح لـ«المجتمع»، أن بلاغ الأمانة العامة لم يتحدث عن معارضة هادئة أو ساخنة، بل تضمن كلمة للأمين العام شرح من خلالها دعوته للهدوء بعد أن لاحظ الانقلاب في مواقف بعض الأطراف التي كانت تساند عزيز أخنوش وتهاجم تجربة العدالة والتنمية خلال رئاسته للحكومة، وهي الأطراف التي تتحرك خدمة لمصالحها

وأجندتها الخاصة، وهي تتموقع واقعياً ضمن خصوم الديمقراطية، لذلك فإن دعوة ابن كيران للهدوء نقطة نظام ضد هذا العبث وحتى تتضح الصورة أكثر، وحتى لا يوظف حزب العدالة والتنمية في خدمة أجندات أطراف لا يهمها إلا مصلحتها الخاصة.

وأكد فاضلي أن انتقال العدالة والتنمية من الإسهام في تدبير الشأن العام إلى المعارضة هو من آثار النتائج التي تحصل عليها الحزب في الانتخابات الأخيرة، وهي نتائج كارثية بالنسبة للحزب، تحكمت فيها أسباب ذاتية بالأساس مع وجود أسباب موضوعية بطبيعة الحال، في دولة تمر من مسار انتقال ديمقراطي صعب.

من جهته، قال المحلل السياسي والأكاديمي المغربي عبدالصمد بلكبير، في تصريح لـ«المجتمع»: إن هذا التوجه في المعارضة الذي تبناه حزب العدالة والتنمية أو بالتدقيق ابن كيران هو في صالح البلد، وأوضح أنه بالرغم من التحفظات الواردة على نتائج انتخابات 8 سبتمبر، التي وجهت ضربة قوية لحزب العدالة والتنمية؛ فإن تشكيل الحكومة أمر إيجابي؛ لأن ذلك يعتبر خطوة مهمة في مسار الانتقال الديمقراطي بما أن ذلك تم بدون عنف وبكل سلاسة.

واعتبر بلكبير أن التناقضات في السابق كانت بين الدولة والمجتمع، وكانت تهدد في كل حين استقرار البلد، أما ما وقع في 8 سبتمبر؛ فهو تناوب على أي حال بين مكونات الطبقة السياسية، ومن الجيد أن تبرز في المغرب طبقة تمثل الاقتصاد الخاص وتعدل ميزان القوى في مواجهة الطبقة الريعية للقطاع العام التي لها قوائم وأجنحة، وتستفيد من خيرات البلاد وتدافع عن مصالحها.

وأكد الأستاذ الجامعي أنه يؤيد ابن كيران فيما ذهب إليه من خلال دفاعه المستميت على الملكية في المغرب، وأن حزبه وأمثاله من الأحزاب الوطنية أولى بالاصطفاف مع الملك، من التكنوقراطية والبيروقراطية المستفيدة من ذلك الريع، وما تشكله من سلبيات وضربات على تنمية البلاد وتوزيع الثروات.

من جانب آخر، يشرح الأكاديمي المغربي علي فاضلي أن بلاغ الأمانة العامة جاء ليحدد تموقع حزب العدالة والتنمية في

ابن كيران أكد أن عمل حزبه يجب أن يستند إلى معارضة وطنية بوصلتها الرئيسة خدمة الوطن والمواطن

المشهد السياسي ضمن المعارضة؛ فالحزب هو الذي يقرر مضمون تلك المعارضة وفق خطه ونهجه السياسي في خدمة مصلحة الوطن، وهنا لا بد من تحديد مصلحة الوطن دون تركها مبهمة، فهي مصلحة تتحدد أولاً في الدولة القوية المستقرة، وفي الدفاع عن مزيد من الديمقراطية وفق شروط وآليات الانتقال الديمقراطي، وفي تحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية.

وأوضح أن معارضة الحزب يجب أن تكون وفق منهج ورؤية الحزب، لا وفق رؤية

فاضلي:

معارضة الحزب يجب أن تكون وفق رؤية الحزب لا وفق نهج أطراف أخرى متصارعة

بلكبير:

ابن كيران يؤكد أن نتائج 8 سبتمبر قابلة للاستدراك خاصة مع دعوته لطي صفحة الخلافات الداخلية

ونهج أطراف أخرى متصارعة؛ فالحزب يجب ألا يكون حزباً وظيفياً في خدمة أطراف أخرى لا يهمها لا ديمقراطية ولا عدالة اجتماعية بقدر ما يهمها الدفاع عن مصالحها في مواجهة جهات أخرى متصارعة معها، وقد يلتقي الحزب حين ممارسته للمعارضة مع بعض تلك الجهات والأطراف أو أطراف أخرى، لكنه تلاق بدون تنسيق أو وحدة المنطلقات والأهداف؛ فهو تلاق لحظي وظاهري وشكلي في اختلاف تام حول المضمون.

قابل للاستدراك

ويضيف الأكاديمي بلكبير أن ابن كيران يؤكد أن ما وقع في 8 سبتمبر قابل للاستدراك، خاصة مع دعوته إلى طي صفحة الخلافات داخل الحزب، وتجاوز النتائج الكارثية، التي حققها في الانتخابات الأخيرة؛ إذ إنه اعتبر أنه بغض النظر عن أسبابها الذاتية والموضوعية، ينبغي ألا تكون عائقاً أمام الحزب ليقوم بوظائفه الأساسية في التنظيم، والتأطير، والتنشئة السياسية، وبلورة الأفكار، والبرامج، والأطروحات المناسبة للإجابة عن التحديات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي تعرفها.

ولاحظ بلكبير أن معارضة العدالة والتنمية لن تضعف بهذا الموقف، بل إنها ستكون منبهاً قوياً لكل شيء ليس على ما يرام، مع اتخاذ الموقف الصحيح تجاهها، كما أكد ابن كيران نفسه.

في حين أوضح علي فاضلي أن انتقال الحزب للمعارضة لا يعني اختفاءه من المشهد السياسي وتأثيره فيه، خصوصاً مع عودة ابن كيران لقيادة الحزب، ويمكن ببساطة ملاحظة أن الحزب يحظى بالاهتمام أكثر من الحكومة وأحزابها وأغلبيتها الهجينة والضعيفة سياسياً رغم هيمنتها عددياً على المجالس المنتخبة، لكنها حكومة بدون سياسة تقودها وجوه ضعيفة وبدون مسار سياسي، وقد اتضح ضعف الحكومة بعد تنصيبها بأيام فقط من خلال الأخطاء الفادحة التي وقعت فيها، وهي أخطاء ناتجة عن غياب السياسة عن الحكومة؛ لذلك فالعدالة والتنمية سيستمر رقماً سياسياً مهماً في المشهد السياسي خلال المرحلة المقبلة من

www.mugtama.com

تركيا والمحور العربي المناوئ لها.. أسباب التقارب ومآلات الحوار

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

بعد سنوات عديدة من الاستقطاب والمواجهات المباشرة وغير المباشرة في عدة قضايا وملفات إقليمية، بدا مؤخراً أن أبواب التواصل بين تركيا وعدد من الدول العربية المؤثرة قد فتحت، وأن سبل الحوار بينها قد ذللت.

مسار تهدئة الأزمات مدفوع بأسباب متعددة ومرتبط بسياقات اقتصادية وسياسية مثل تداعيات «كورونا»

العلاقات مع مصر استحوذت على الجزء الأكبر من الجهد التركي فمرت بمحطات أهمها التواصل الاستخباري

ثمة عقبات تقف بطريق الحوار أبرزها تشابك العلاقات الإقليمية والمواقف المسبقة وتقديمها على المصالح الجوهرية

لقد تموضعت تركيا من جهة، وكل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر من جهة ثانية في محورين متقابلَيْن في المنطقة، ومتناقضين في المواقف في مختلف ملفاتها، لدرجة أن البيانات الختامية لاجتماعات جامعة الدول العربية تكاد لا تخلو من إدانة لأنقرة أو تنديد ببعض سياساتها، كما أن شرق المتوسط -الملف ذو الأولوية والحساسية لتركيا- شهد تأسيس عدد من الدول -من ضمنها مصر- منتدى غاز شرق المتوسط الذي تجاهل تركيا وحقوقها، كما صدرت بيانات عديدة ضد أعمال التنقيب التي قامت بها أنقرة في شرق المتوسط، وقّعت عليها القاهرة وأبو ظبي رغم أن الأخيرة لا تطل على المتوسط أصلاً!

بيد أن الشهور القليلة الأخيرة شهدت ما هو أبعد من مجرد تهدئة بين الطرفين؛ حيث جمعت بين تركيا وكل من الإمارات ومصر وكذلك البحرين اتصالات ولقاءات وتصريحات إيجابية واجتماعات لتطوير العلاقات بينهما؛ بل إن هذه اللقاءات تأتي في إطار إقليمي أوسع؛ حيث تراجعت حدة الأزمة الخليجية البينية بعد قمة العلا، وتجاوزت مصر وقطر كذلك حالة القطيعة نحو عودة العلاقات الدبلوماسية واللقاء على مستوى الرئاسي/الأميري، كما جمعت لقاءات -بوساطة- بين السعودية وإيران.

هذا المسار الإقليمي لتقريب المسافات وتهدئة الأزمات بين الأطراف المختلفة والمتواجهة مدفوع -فيما يبدو- بجملة من الأسباب والدوافع؛ بعضها محلّي، مرتبط بسياقات اقتصادية وسياسية مثل تأثر اقتصادات مختلف الدول بجائحة «كورونا»

ومشاريع التنمية المختلفة، وكذلك اقتراب استحقاقات انتخابية مهمة، كما هي الحال في تركيا مثلاً، وبعضها الآخر إقليمي متعلق بعدة سياقات؛ فمن جهة، تراجعت -إلى حد كبير- حدة الاستقطاب المتعلق بثورات «الربيع العربي» وارتداداته بعد أكثر من ثماني سنوات على الانقلاب في مصر الذي كان المحطة الأبرز لذلك الاستقطاب.

ومن جهة ثانية، لم يتمكن أي من الطرفين حسم أي من القضايا أو الملفات الإقليمية لصالحه بشكل حاسم وناجز؛ ما حوّلها إلى ملفات مستعصية ومضرّة بمختلف الأطراف وإن بدرجات متباينة، ومن جهة ثالثة فقد حققت أنقرة في عام 2020م اختراقات نسبية في عدد من الملفات المهمة، مثل ليبيا والقوقاز، ما عزز رغبتها في حصد الأثمان السياسية في عام 2021م.

وبعضها الآخر دولي، يرتبط بشكل أساس بالإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة «جو بايدن» وتوجهاتها المقلقة لعدد من حلفائها في المنطقة؛ ذلك أن استمرار الإدارة الجديدة بمنهجية تراجع الاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط ورفع مستوى الاعتماد على الحلفاء الإقليميين وكذلك العودة للمفاوضات مع إيران حول ملفها النووي دفع مختلف الدول المذكورة إلى تقييم وتقديم منطق التهدئة والحوار وربما التنسيق في بعض القضايا.

مآلات الحوار

على مدى الشهور الماضية، قطعت تركيا أشواطاً مهمة في طريق تعبيد العلاقات مع معظم الدول المذكورة، ولا سيما مصر والإمارات.

ولعل العلاقات مع مصر استحوذت على الجزء الأكبر من الجهد التركي في هذه المدة؛ فمرت العلاقات بعدة محطات؛ أهمها التواصل على المستوى الاستخباري، وتجنب الدولتين الإضرار ببعضهما بعضاً في المنابر الدولية بعد اتفاق بين وزيرَيْ خارجيتهما، والتواصل الدبلوماسي، وإجراءات «حسن النوايا» المرتبطة بالحملات الإعلامية، ولقاءات على مستوى وزارة الخارجية في كل من القاهرة وأنقرة، فضلاً عن عدد لا بأس به من الاتصالات بين الجانبين في عدة مناسبات.

من غير المتوقع أن يفضي الحوار إلى انقلاب جذري بالعلاقات ليحوّلها إلى حالة تعاون إستراتيجي كامل

وفيما يتعلق بالإمارات (الدولة الأكثر حدة في العلاقة مع تركيا التي سمّتها الأخيرة بشكل رسمي ومعلن في عدة مناسبات كطرف يستهدف أمنها القومي) كانت زيارة مستشار الأمن الوطني طحنون ابن زايد آل نهيان لأنقرة ولقاؤه مع الرئيس أردوغان في أغسطس الماضي حدثاً مفاجئاً، لكن التطورات اللاحقة على الزيارة أثبتت أنها كانت محطة مدروسة على طريق تحسين العلاقات، بما في ذلك الاتصالات التي جمعت وزيري خارجية البلدين وكذلك الرئيس أردوغان، وولي عهد أبو ظبي محمد ابن زايد، فضلاً عن الزيارة التي قام بها الأخير إلى تركيا في 24 نوفمبر الماضي.

ومع زيارة وزير الخارجية البحريني عبداللطيف بن راشد الزياني في نوفمبر الماضي إلى أنقرة ولقائه نظيره التركي مولود تشاووش أوغلو، تبقى السعودية استثناء في هذا الإطار إذ لم تحصل مؤخراً لقاءات وزيارات على مستوى رسمي رفيع بين البلدين، رغم عدد من الإشارات والتصريحات الإيجابية، ولا سيما من الجانب التركي.

فماذا عن فرص نجاح هذا المسار ونتائجه ومآلاته المتوقعة؟

لا شك أن المسافة التي قطعتها مختلف الأطراف حتى الآن لافتة، بالنظر إلى عمق الاستقطاب وحدّة التراشق على مدى السنوات الثماني الماضية، ولا شك كذلك أن هناك مستجدات ملموسة على صعيد العلاقات وليس فقط على مستوى التصريحات؛ حيث حملت الشهور القليلة الأخيرة ملامح من التنسيق بين الجانبين ولا سيما فيما يتعلق بالملف الليبي خلال الحوار الوطني ثم انتخابات مجلس الدولة، وهو مؤشر مهم ولا شك.

بيد أن ثمة عقبات واضحة تقف في طريق مسار الحوار هذا، أبرزها تشابك العلاقات الإقليمية والمواقف المسبقة وتقديمها على المصالح الجوهرية التي تجمع بين الطرفين، وكذلك رغبة المحور السعودي - الإماراتي - المصري في تناول الملفات مع أنقرة كحزمة واحدة، وبما يعبر عن المحور ككل وليس بشكل فردي فيما يبدو، وفي هذا الإطار يلفت أنظارَ المتابعين التريثُ السعودي الواضح على صعيد العلاقات مع تركيا وهو ما يبدو مؤشراً سلبياً أو كابحاً محتملاً حتى اللحظة.

لكن تبقى العوامل سالفة الذكر دوافع حقيقية باتجاه خفض التصعيد بين الجانبين، وهو أول النتائج الملموسة من مسار التقارب القائم. كما أنه قد يؤدي للتنسيق في بعض القضايا والملفات بشكلها التفصيلي بما يعني إمكانية التوصل لبعض الحلول التكتيكية فيها في الوقت الحالي، وهو أمر ملموس في ليبيا كما سبق، ويمكن تكراره في عدد من الملفات الأخرى، لا سيما الاقتصاد وشرق المتوسط.

كما أن قطار الحوار الحالي يمكن أن يصل لمراحل متقدمة من التعاون بين الجانبين بشكل أكبر، إن كان على الصعيد الاقتصادي أو الاستخباري أو غيرهما من المجالات، وبما قد يفتح المجال لحل بعض المشكلات العالقة بشكل كامل مستقبلاً، لكنه من غير المتوقع أن يفضي إلى انقلاب جذري في العلاقات ليحوّلها إلى حالة تعاون إستراتيجي أو كامل، إلا إذا حصل تغير جذري في أحد طرفي المعادلة؛ فما زالت المواقف المسبقة سيدة الموقف إلى حد كبير، وما زالت فجوة الثقة التي تراكمت على مدى سنوات بحاجة لوقت وإجراءات بناء الثقة للتأكد من مصداقية الطرفين في المسار.

لكن في كل الأحوال، من الصعب أن يعود الجانبان لنفس درجة الحدّة والاستقطاب والمواجهة السابقة، لا سيما بعد هذه الأشواط الطويلة التي قطعها الحوار من جهة، والمكاسب النسبية التي حصلت عليها مختلف الأطراف بما يشجع على الاستمرار في المسار وليس النكوص عنه طمعاً بمكاسب إضافية، وتجنباً لمزيد من استنزاف مختلف الأطراف بشكل أدى، ويؤدي لخسائر للجميع بدرجة أو بأخرى ومكاسب لقوى من خارج المنطقة بالدرجة الأولى.■

www.mugtama.com

حوار: سعد النشوان - محمد سرحان:

نائب رئيس جمعية العلماء التركية د. عمر فاروق قورقماز لـ«المجتمع»:

بعد عام 2023م ستكون تركيا أكثر قوة واستقلالاً

أكد نائب رئيس جمعية العلماء التركية د. عمر فاروق قورقماز أن رؤية عام 2023م تهدف لأن تكون تركيا دولة قوية ومستقلة أكثر، ولديها إمكانيات أكبر، مشيراً إلى أنه حسب ما نراه حالياً على أرض الواقع فتركيا أصبحت بالفعل دولة كبيرة باقتصادها وغازها ونفطها في الاكتشافات الحديثة، وكذلك بأبنائها وقوتها العسكرية والمدنية.

وألمح، في حواره مع «المجتمع»، إلى أن هناك حرباً خارجية على تركيا ممثلة في الضغوط السياسية والحصار الاقتصادي في بعض الأحيان الذي يرهق المواطنين، لكنه أكد أن الضمانة لمواجهة كل هذا هو الحرية والديمقراطية، كما تطرق الحوار لعدد من القضايا المهمة على الساحة الإقليمية والدولية.

● **أولاً، نرحب بكم في بداية هذا الحوار مع «المجتمع»، ونشكركم على حفاوة الاستقبال، وهذا عهدنا بالأشقاء في تركيا.**

– بداية، أشكركم باسم جمعية «علماء تركيا» (أومـاد)، كما أشكركم على أنكم تربطونني بمجلة «المجتمع» التي تعلقنا بها منذ زمن طويل، فكلنا تربينا في مدرسة هذه المجلة العريقة منذ أيام دراستي في باكستان.

كما تعد الكويت بالنسبة لنا أكرم دولة في خدمة الإسلام والمسلمين، ومساهماتها لا تنسى، فقد وجدت في أهلها الخير الكثير.

● **كثيراً ما نسمع الرئيس «رجب طيب أردوغـان» يتحدث عن «تركيا 2023»، ماذا ينتظر البـلاد فـي هـذا الـعـام؟ ومـا الـذي سيتغير؟**

– في تاريخ الأمم محطات مختلفة، وعام 2023م تكون قد اكتملت مائة عام على تأسيس الجمهورية التركية، وهـذه محطة أولى، لكن الرئيس «أردوغان» لم يضع محطة واحدة أمام الشباب، بل وضع محطات؛ أولها عام 2023، ثم 2051 كمحطة ثانية، ثم 2071م كمحطة ثالثة، كل هذه المحطات التي وضعها الرئيس بمثابة معالم في الطريق للشباب، وعليهم أن ينهضوا ويصلوا إلى هذه الأهداف السامية في تاريخ الأمة الإسلامية كما كان أجدادهم؛ لأن أجدادنا كان لهم دور في خدمة الإسـلام والمسلمين، حيث كـان الاسـتقـرار والسلام يعُمَّان البلاد الإسلامية.

وبعد سقوط الدولة العثمانية، تراجعت تركيا كثيـراً، وأصبحت في بقعة صغيرة، لكن المشكلات لم تنته، كما روج الاستعمار أن انسـحاب تركيا مـن الـبـلاد الإسلامية سيؤدي إلى الاستقرار بحجة أنها هي سبب المشكلات.

الآن أمامنا «رؤية 2023»، حيث ستكون تركيا دولـة قـويـة أكـثـر ومستقلة، ولديها إمكانيات أكبر، وعلى حسب ما نـراه حالياً في أرض الـواقـع، فتركيا أصبحت بالفعل دولـة كبيرة باقتصادها وغازها ونفطها في الاكتشافات الحديثة، وكذلك بأبنائها وقوتها العسكرية والمدنية.

● **إذاً، في عـام 2023م سنرى الامتداد الاقتصادي التركي الجديد في المنطقة؟**

– طبعاً الآن تركيا لديها أكثر من مشروع، سواء في المجال الاقتصادي، أم الغاز والنفط، وحتى بالاكتشافات الجديدة في مجال الثروة بمناطق مختلفة بأراضيها، وبالتالي ستكون تركيا مختلفة تماماً في عام 2023م اقتصادياً.

«أردوغان» لم يضع محطة واحدة أمام الشباب بل وضع عدة محطات أولها عام 2023 ثم 2051 ثم 2071م

أسعار العملة بهذه الصورة ليست متعلقة بقوة الاقتصاد من عدمه ونحن سنواجه هذا اقتصادياً

نحن مدينون في تقدمنا الاقتصادي للنظام الديمقراطي وجهود «أردوغان» فالحرية هي التي تجلب الاستثمار

عندما جاء «العدالة والتنمية» كان عدد الجامعات 75 والآن أصبح 210

تختلف وجهات نظرنا مع مصر في جزئيات معينة لكن تتواصل العلاقات في مجالات أخرى أكثر

● لكن، مؤخراً، رأينا انهياراً لليرة مقابل العملات الأخرى، فما السبب في ذلك؟ وهل يعد هذا حصاراً اقتصادياً لتركيا؟

– أولاً، لا بد أن نفهم أن هناك دولاً لا تنتج شيئاً اقتصادياً، وليس لديها نفط أو غاز، ورغم ذلك عملتها أقوى من العملة التركية، ماذا يعني هذا؟! هذا يعني أن الدول القوية تُحارَب؛ فعلى سبيل المثال، روسيا تعاني مشكلة في قيمة عملتها، وهناك أيضاً إيران رغم أن لديها غازاً ونفطاً ومع ذلك تعاني مشكلات في سعر العملة، وبالتالي فتركيا من الدول التي لديها استقلالية؛ لذا تتم محاربتها، وتحدث هذه المشكلات في قيمة العملة بسبب التلاعب الذي يحدث في أسعار العملات وتحديد قيمتها، وهذا لا يعكس حقيقة الاقتصاد، ولا يعد مؤشراً حقيقياً لواقع الاقتصاد، وهذا ليس في يد تركيا، وأسعار العملة بهذه الصورة ليست متعلقة بقوة الاقتصاد من عدمه، ونحن سنواجه هذا اقتصادياً.

● تكالبت دول كبرى على تركيا بسبب النجاحات في الصناعات العسكرية وخاصة «المسيَّرات»، ما الرسالة التي تريد تركيا إيصالها لهذه الدول؟

– أولاً، لا بد أن يكون واضحاً أننا أبناء الحضارة الإسلامية، وحضارتنا هذه مبنية على العلم والثقافة والعقل، وديننا الإسلامي الحنيف يعلمنا أن نعقل ونفكر وننتج، ونتقدم إلى الأمام في خدمة المسلمين والإنسانية كلها في كل مكان، وبالتالي بدأنا نستدرك ما نقص وما أخطأنا فيه بالسابق، وندرك كثيراً من المحطات التي يفترض أن نتجاوزها قبل عقود من الزمن، لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، ونرجو أن يتم الاستفادة من هذه التجربة.

● هل يتفهم المواطن التحديات التي تواجه الدولة التركية، كأن يقبل ببعض الضغوط الاقتصادية لتخطي هذه المرحلة وإنجاح التجربة؟

– لا شك أن الشعب والدولة التركية بشكل عام يعتزون بما يحدث من تطورات خلال هذه المرحلة، وبالتأكيد أن الحرب الخارجية الممثلة في ضغوط سواء سياسية أم حصار اقتصادي في بعض الأحيان يرهق المواطنين اقتصادياً، وفي النهاية تركيا دولة ديمقراطية، وليست دكتاتورية، والتقدم الاقتصادي الحاصل نحن مدينون به لوجود نظام ديمقراطي وجهود الرئيس «أردوغان»؛ فالحرية هي التي تجلب الاستثمار، والقوانين المناسبة هي التي تجلب المستثمر، وبالتالي نحن في النهاية سوف نخضع لرغبة وإرادة الشعب التركي سواء نجحنا أم لم ننجح.

● توجد بالكويت شركات تركية كبيرة خاصة في الإنشاءات، فهل تطمح تركيا في توسيع تعاونها الاقتصادي مع بقية دول الخليج الأخرى؟

– نحن دائماً نفتخر بموقف الكويت الذي كان دائماً إيجابياً في القضايا الإقليمية والإسلامية، وبالتالي الكويت لديها تعاون كبير مع رجال أعمال أتراك، ونرجو أن تكون نفس العلاقة مع الدول الخليجية الأخرى، وهناك بالفعل علاقات حالياً، لكن نريد أن تكون أقوى بكثير مما هي عليه.

● بالنسبة للعلاقات الإقليمية، هل حدث تراجع في التقارب التركي المصري بعد الاتفاق الأخير بين مصر واليونان؟

– لا أظن أن هناك تراجعاً في التقارب التركي المصري؛ ففي علاقات الأمم، كما هي الحال في الفقه الإسلامي، ليس هناك حلال وحرام فقط؛ بل يوجد أيضاً مكروه ومباح ومندوب، وفي العلاقات السياسية الأمر كذلك؛ فمثلاً نحن في تركيا نختلف مع الأمريكيين، لكن في الوقت نفسه نتعاون في ملفات كثيرة، وكذلك علاقتنا مع روسيا نختلف في ملفات ونتعاون في أخرى؛ فما بالك بالدولة المصرية؟

بطبيعة الحال، تختلف وجهات النظر في جزئية معينة، لكن تتواصل العلاقات في جزئيات أخرى أكثر؛ فلا نصطدم بسبب الاختلاف في ملف واحد، وإن كان هذا يزعجنا بالطبع؛ فتقوية العلاقة المصرية اليونانية ربما يكون في جانب منه على حساب تركيا وقد يكون مزعجاً، لكن هناك ملفات أخرى تكون العلاقات المصرية التركية على حساب اليونان أيضاً؛ لذلك فالعلاقات الثنائية بين الدول لا تبنى على الغضب؛ فالدول أكثر عقلانية من الخطاب الإعلامي الذي يحاول في بعض الأحيان تحديد طبيعة العلاقات بين الدول على غير الحقيقة.

● بالإضافة للتنمية الاقتصادية، هناك

تنمية بشرية ملحوظة، فكثير من الأتراك جمعوا بين البعدين الإنساني والسياسي، ما السر في ذلك؟

– السر في ذلك عقلية القيادة، فعندما جاء حزب «العدالة والتنمية» لقيادة البلاد كان عدد الجامعات التركية حوالي 75 جامعة، والآن عدد الجامعات وصل إلى 210، إذاً هناك استثمار في الإنسان، هذا أولاً، أما ثانياً؛ فهو حب الأتراك لخدمة البشرية، لدينا عشرات المنظمات التركية الإغاثية والإنسانية والتربوية والتعليمية التي انطلقت في كل مكان، وبالتالي نحن لا نقف عند حدود تركيا، بل نعتبر أنه في كل العالم وفي كل مكان فيه الإنسان وفيه المسلمون هو جزء من الوطن وجدانياً.

● فيما يتعلق بالمرأة التركية (سفيرة تركيا بالكويت عائشة هلال، وفي ماليزيا مروة قاوقجي)، ما دورها في مواجهة التحديات التي تواجه البلاد؟

– أولاً؛ هاتان السفيرتان كانتا من المناضلات قبل أن يأتي الرئيس «أردوغان» إلى السلطة؛ أي ليس ظهورهما في المشهد حالياً مفاجئاً؛ فعلى سبيل المثال، مروة قاوقجي سبق أن اختيرت في البرلمان كأول سيدة ترتدي الحجاب، ولكن تم طردها من قبل حزب الشعب الجمهوري آنذاك، والآن الرئيس «أردوغان» أوكل لها هذا المنصب (سفيرة) لأنها مثقفة ودارسة للعلاقات الدولية بشكل جيد؛ فالمرأة التركية في العموم مثقفة وقوية ولها دورها الذي يُحترم، ونعتبر أن وجود المرأة مع أشقائها في العمل الاجتماعي والسياسي والتربوي وكذلك في أسرتها من الأركان الأساسية في نهضة الأمة.

فعندما تمنع المرأة من العمل والتقدم إلى الأمام فمعنى هذا من البداية أن 50% من المجتمع أصبح متخلفاً، نعم يجب على المرأة ألا تهمل تربية الأولاد، وذلك من مهامها الأولى والأساسية، ونحن نقول في تركيا: إن المرأة هي التي تؤسس البيت وتحافظ عليه، وهذا صحيح، لكن إذا أرادت المرأة أن تخرج للعمل وتخدم الوطن والأمة والإنسانية من خلال العمل في مستويات مختلفة بالشروط الفقهية فلها أن تفعل ذلك.

كثير من الأمور الإغاثية والإنسانية تعلمناها من المؤسسات الكويتية أيام حرب البوسنة

الكويت لديها تعاون كبير مع رجال أعمال أتراك ونرجو أن تكون نفس العلاقة مع الدول الخليجية الأخرى

● ما تقييمكم للعلاقات الكويتية التركية في كافة المجالات؟

– أولاً؛ لا بد أن نعترف أن الكويت كانت مركزاً لخدمة الإنسانية، فكثير من الأمور الإغاثية والإنسانية تعلمناها من المؤسسات الكويتية أيام حرب البوسنة، فآنذاك لم تكن في تركيا مؤسسات إغاثية باستثناء الهلال الأحمر التركي، وعندما ذهبنا إلى البوسنة وقت الحرب وجدنا كثيراً من المؤسسات الكويتية تنشط في مجالات مختلفة، وبالتالي بدأنا ننشئ مؤسسات إغاثية على غرار المؤسسات الكويتية.

لكن لا بد أن ترتقي هذه العلاقات الثنائية إلى مستويات أعلى؛ فعلى سبيل المثال، نحتاج أن نسأل أنفسنا: كم عدد الطلاب الكويتيين الذين يدرسون في الجامعات التركية؟ وكم عدد الطلاب الأتراك الذين يدرسون في جامعة الكويت في مجالات العلاقات الدولية والعلوم السياسة والاجتماعية واللغة العربية؟ لأن العلاقات التي تقتصر على مجالات الاقتصاد والسياسة ولا تشمل المستويات الثقافية والفكرية والحضارية ربما في وقت ما تنتهي، فنحن في تركيا بحاجة إلى السفراء الذين يجيدون اللغة العربية، فممكن أن يتم تخريج هؤلاء في الكويت، وأنتم في بلادكم تحتاجون قيادات في العلوم الاجتماعية، وهؤلاء يمكن أن يتم تخريجهم في الجامعات التركية.

أستطيع القول: إن مستوى الجامعات التركية، سواء باللغة التركية أو بالإنجليزية، أكاديمياً ليس أقل من بعض الجامعات الأمريكية والبريطانية، وهذه دعوة يمكن أن توجهها وزارة التعليم في الكويت إلى الطلاب للمجيء للدراسة في تركيا، فهذا هو الجسر الأساسي في العلاقات بين البلدين، فنحن أبناء أمة واحدة.

● كلمة توجهها إلى الشعب الكويتي.

– نحن أبناء أمة واحدة، وإقليم واحد، ومنطقة واحدة، قدرنا مشترك شئنا أم أبينا، وكما يقولون: «إذا عطس الكويتي من البرد فنحن نمرض هنا في تركيا»؛ أي أن أي مكروه يصيب الكويت نتألم له في تركيا، كما حدث مع إخواننا في قطر وقت الأزمة الخليجية، فنحن في تركيا لم نبق مكتوفي الأيدي كما تعرفون، ونحن نعرف أيضاً أن إخواننا في الكويت لن يقصروا في حق إخوانهم في تركيا أو في أماكن أخرى، وكل الشكر لكم على إتاحة هذه الفرصة.■

مسلمو بوروندي..
حرية دينية وأوضاع مأساوية في ظل الحروب الأهلية

أشرف عيد

تقع بوروندي في وسط أفريقيا بمنطقة البحيرات العظمى، يحدها من الشمال رواندا، ومن الغرب الكونغو، وتنزانيا جنوباً وشرقاً، وهي دولة غير ساحلية، ويقدر عدد السكان بنحو 11.5 مليون نسمة، وتبلغ مساحتها 27.8 ألف كم2، وينتمي معظم السكان إلى قبائل هوتو بنسبة 80%، وقبائل توتسي بنسبة 15%، وأعراق أخرى، والعاصمة بوجمبورا (بوزنبورا)، واللغة الرسمية الكيروندية والفرنسية.

ويبلغ عدد المسلمين نحو 1.32 مليون، بنسبة 10%، ويتحدثون اللغة السواحلية، و60% من سكان بوروندي مسيحيون، و30% ذوو معتقدات محلية، ويتواجد المسلمون في العاصمة بوجمبورا، وفي أماكن مختلفة بنسبة متقاربة بين قبيلتي هوتو وتوتسي.

تعرضت بوروندي للاحتلال الألماني (1894–1916م) ثم الاحتلال البلجيكي (1919 – 1962م)، ونالت استقلالها عام 1962م، وقد وضع الاحتلال البلجيكي فتيل الحرب الأهلية بعد رحيله، فأعطى المناصب العليا في الدولة لأقلية توتسي؛ ما أدخل البلاد في حروب أهلية وصراع على السلطة بين أغلبية هوتو وأقلية توتسي حتى اليوم، ومنها حربان قامتا عامي 1970، و1972م، أديتا إلى مقتل 100 ألف شخص، وفي أعوام 1990 و1993 و1996 و2015م حدثت انقلابات على الحكم واقتتال عنيف أدى إلى مقتل أكثر من نصف مليون، ونحو مليوني لاجئ.

وقد جعلت تلك الحروب بوروندي من أفقر 10 دول في العالم؛ حيث يعيش 82% من السكان تحت خط الفقر بـ1.25 دولار في اليوم، ولا تتوفر فيها الخدمات الأساسية؛ فمعظم الشعب يعيش بلا كهرباء، و50% من الأطفال يذهبون إلى المدرسة، والطرق غير ممهدة، ولا توجد بها خطوط سكك حديدية، وتدني مستوى الرعاية الصحية؛ فنصف مليون شخص مصابون بالإيدز بنسبة 2.3%، وترتفع معدلات الوفاة.

هناك علاقات بين بوروندي و«إسرائيل».. تقدم الأخيرة خبرتها في الزراعة والأمن

المسلمون يشاركون في تولي المناصب العامة وينالهم ما ينال رجال السياسة من التعرض للاغتيال

وتوجد علاقات بين بوروندي و«إسرائيل»؛ حيث يتم تبادل الزيارات الرسمية بين المسؤولين، وتقدم «تل أبيب» خبرتها في مجالات الزراعة والأمن والاستخبارات.

المسلمون ومشكلاتهم

بوروندي دولة علمانية تحترم الحريات الدينية وممارسة العبادات ولا تدعم أي نشاط ديني؛ فالمسلمون يمارسون حياتهم وعبادتهم بحرية كسائر الشعب، وعيد الفطر عطلة رسمية في الدولة، وتوافق الحكومة على القرارات التي تتخذها الهيئات الإسلامية فيما يخص الأحوال الشخصية للمسلمين.

ويشارك المسلمون في تولي المناصب العامة في الدولة، وينالهم ما ينال رجال السياسة من التعرض للاغتيال، فقد تعرض بعض القيادات السياسية من المسلمين للاغتيال؛ فتم اغتيال زيدي فيروزي، رئيس حزب سياسي، وحفصة موسى، نائبة في المجلس التشريعي عام 2015م.

ويعاني المسلمون مثل سائر شعب بوروندي من الفقر والجهل، وعدم توافر حياة كريمة، فضلاً عن أخطار التنصير التي خصصت لها إمكانات ضخمة.

لا يوجد تعليم ديني في المدارس الحكومية في بوروندي؛ لذا أنشأ المسلمون المدارس الإسلامية التي تهتم بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم والعلوم الشرعية، ومنها: مدرسة التوحيد الأهلية الابتدائية، ومدرسة الحسين الأهلية، ومدرسة الإرشاد، ومدرسة التهذيب والمدرسة السنية، ومدرسة الجمعية العربية الإسلامية، وغير ذلك، لكن هذه المدارس في حاجة إلى تطوير مناهجها ومدها بالمدرسين والكتب الإسلامية المترجمة.

وتوجد في بوروندي الجمعيات الإسلامية التي تهتم بشؤون المسلمين، ومنها: الجمعية الأفريقية (أسمابو)، والجمعية العربية الإسلامية (أمابو)، والرابطة الإسلامية، والمجلس الإسلامي الأعلى، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تعتبر من أهم المنظمات في بوروندي، ولها علاقات جيدة بالحكومة، وقد ساهمت في إنشاء الجامعة الإسلامية بويزا، والإعلام المرئي والمسموع، وتقدم القوافل الطبية والأنشطة الدعوية والثقافية وتنظيم برامج تعليم اللغة العربية، وتعمل على إنشاء مسجد ومدرسة في منطقة رومنقي.

ويعاني المسلمون من نقص كبير في المدارس الإسلامية والمساجد، فالدولة لا تمانع في إنشاء المدارس الإسلامية والمساجد بالجهود الذاتية، كما يعانون من عدم وجود دعاة يجيدون اللغات المحلية يعلمونهم أصول دينهم، ويحتاجون كتباً عن الإسلام باللغة السواحلية والفرنسية.■

المصادر

1 – د. أحمد محمود السيد: الأقلية المسلمة في بوروندي، مجلة البيان، 31 مارس2011م.

2 – الشيخ شعبان علي سنجيورا نائب مفتي بوروندي: مسلمو بوروندي قابضون على دينهم في مواجهة إرساليات التبشير، حوار: أحمد فوزي، صحيفة الجريدة الكويتية، 2015/6/22م.

3 – أسومبتا نانيوي: مؤسسة الباشينغانتاهي في بوروندي، ضمن كتاب: العدالة والمصالحة التقليديتان بعد الصراعات العنيفة، التعلم من التجارب الأفريقية، ترجمة: نايف الياسين، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، 2017م.

حوار- محمد سرحان:

«المجتمع» تحاور الحاجة عبلة تهامي.. «شخصية العام» بأستراليا

خلال الأيام الماضية، تم اختيار الحاجة عبلة تهامي قادوس «شخصية العام» على مستوى ولاية «New South Wales» في أستراليا كأفضل مواطنة عن فئة كبار السن للعام الجديد 2022م، تقديراً لدورها المجتمعي ومسيرتها الطويلة في العمل التطوعي وخدمة المرأة والمجتمع، فهي رئيسة الجمعية الإسلامية لرعاية المرأة.

ويسعدنا في «المجتمع» أن نسلط الضوء على مسيرتها كنموذج للمرأة المسلمة الفاعلة في المجتمعات الغربية، ودورها في ترسيخ الصورة الإيجابية للمرأة المسلمة، وأنه بإمكانها العمل والمساهمة في خدمة المجتمعات ما إن امتلكت الإرادة وتوفرت لها البيئة المناسبة لذلك، فكان لنا هذا الحوار:

● بداية، كيف تلقيتم خبر اختيارك كشخصية العام عن ولاية «NSW» في أستراليا عن فئة كبار السن؟

– بلا شك كان أمراً مفاجئاً لي شخصياً ولزميلاتي من النساء والفتيات في الجمعية، نعم هناك حرية متوفرة لنا كأي مواطن خاصة عندما يتبين صدقنا في خدمة المجتمع، لكن فكرة اختياري كانت مفاجئة خاصة أنه يتم اختيارك كشخص غير أسترالي الأصل، وأيضاً كمسلم، وخصوصاً كامرأة وترتدي الحجاب.

كان الاختيار فرحة كبيرة لنا في الجمعية، فأنا وإن كنت رئيسة الجمعية فإنني ممثلة عن كل زميلاتي وبناتي في الجمعية، فنحن نعمل بشكل جماعي والفضل في هذه الجهود للجميع.

الحمد لله على مدى حوالي 38 عاماً من العمل التطوعي لم نعمل إلا بما يرضي الله تعالى.

● كيف يتم اختيار الفائزين؟

– يتقدم مواطنون بتزكية اسم الشخص الذي يرون أن له دوراً واضحاً في خدمة المجتمع، ثم تتابع لجنة الاختيار هذه التزكيات وتدرس ملفات الشخصيات المقترحة وحقيقة دورها البناء، وتتقصى عنها للتأكد من سلامة سلوكياتها وخلو سجلاتها من أي نشاط مخالف أو أي عمل غير قانوني، هناك 7 ولايات في أستراليا، «NSW» هي أكبر ولاية وعدد سكانها 8 ملايين، كل ولاية تختار من يمثلها.

وهذا هو اللقب الذي فزت به، ومن المقرر أن يتم إعلان الشخصية الفائزة عن أستراليا كلها في 25 يناير 2022م، وهو يوم أستراليا الوطني.

● لو نرجع للوراء، من هي عبلة قادوس؟ وكيف كانت نشأتها؟

– اسمي عبلة رأفت تهامي، لكن طبعاً في أستراليا تنادى المرأة بلقب زوجها، ومن هنا كان اسم «عبلة قادوس»، أما النشأة فكانت في بور فؤاد في مصر، أسرة مصرية مكونة من الأب والأم و4 فتيات وولدين، ووالدي، بالإضافة إلى عمله، كان مدرباً لرياضة التجديف، حتى إنه كوّن أول فريق للفتيات لهذه الرياضة في بورسعيد، وكنت ضمن هذا الفريق، واستطعنا الفوز بعدة بطولات على مستوى الجمهورية وقتها، وإتقاني للغات سهَّل عليَّ تعلم الإنجليزية، وفي عام 1968م سافرت أسرتي إلى أستراليا.

● كيف بدأ المشوار في أستراليا؟

– كما قلت، إن أسرتي وصلت إلى أستراليا في عام 1968م، ومنذ أن كنا في مصر، ربانا والدي على القيم والالتزام الأخلاقي، وكنا مثل كثير من الأسر التقليدية نعرف القيم، لكن لم نكن ملتزمين دينياً بالسمت الإسلامي، وبعد الزواج وما إن رُزقت بالأبناء، كان كل همي هو كيف سأربي أبنائي؟ وعلى أي شيء سأربيهم؟ هل من الممكن أن أتركهم هكذا ويضيعون مني بمرور الوقت كأن يتحولوا عن الإسلام، بحكم الاختلاف الكبير في العادات والتقاليد والقيم الغربية عن بلادنا؟ ومن هنا قررت التعمق أكثر في القراءة والالتزام حتى أعرف كيف أربي أبنائي تربية صحيحة على الإسلام.

هنا حدثت تغيرات ساعدتني كثيراً على الالتزام، حيث توفرت لزوجي فرصة عمل في مجال الصيدلة بالمملكة العربية السعودية، ومع البيئة هناك والعمرة والحج كان الارتباط بالدين أكثر، بعد سنتين عدنا

www.mugtama.com

إلى أستراليا، فعدت بالحجاب، وفي هذا الوقت لم يكن حينها الحجاب معروفاً أو مقبولاً في هذه البلاد، وكنت أجد صعوبة في الوظائف في مجالي «المحاسبة» وتمييزاً بسبب حجابي.

التزاماً بحجابي تركت الوظائف، وقررت الاتجاه للعمل التطوعي، كان هذا في عام 1983م، وبدأت مع مجموعة من النساء العربيات في أستراليا العمل على مساعدة النساء المحجبات، لكن كان نشاطنا يقتصر على النساء العربيات، وكنا نتعلم الدين أكثر مع بعضنا بعضاً، وكنت أستمع للمحاضرات وأعيد توجيهها للسيدات والفتيات باللغة الإنجليزية، ونشطنا كذلك في مدارس السبت والأحد لأبناء المسلمين، في كل هذا وجدت دعماً كبيراً من زوجي، يرحمه الله تعالى، وشجعني كثيراً على خدمة المسلمات، خاصة أن الشيوخ والعلماء لن يكون بمقدورهم متابعة كل مشكلات المرأة المسلمة.

● كيف كان بإمكانك تحقيق هذا التوازن بين عملك التطوعي ورعاية أسرتك وخاصة أنكم أمضيتم بعض الوقت في السعودية؟

– كنت أتابع العمل بشكل مستمر، ومتابعة كافة الأنشطة كأني موجودة في أستراليا عن طريق «Skype»، وفيما يخص الأسرة لم أدخر جهداً في تربية وتأهيل أبنائي بفضل الله تعالى، ثم بفضل زوجي، فكان يشجعني، ولو انشغلت في خدمة المجتمع كان يطبخ ويذاكر للأولاد، حتى إنهم من المتفوقين، وأحدهم كان الأول على جامعته، لا بد أن تعرف أن الإنسان عندما يعمل لخدمة دينه فالله سبحانه يرزقه البركة في نفسه وأهله ويجعله يشعر دائماً بالراحة والطمأنينة حتى وإن تعب بدنياً.

● إذاً، كيف جاءت فكرة الجمعية الإسلامية لرعاية المرأة؟

– خلال عملنا، وجدت كثيراً من النساء المسلمات غير العربيات يشكين من عدم وجود رعاية إسلامية وأنشطة تخدم هؤلاء النساء من غير الأصول العربية، فبدأنا كمجموعة من النساء من جنسيات مختلفة ولغات متنوعة، في إنشاء مؤسسة تهتم بالجميع ولا تقتصر نشاطاتها على العرب فقط، خاصة أن أستراليا فيها أكثر من 40 لغة لمكوناتها من الأصول المختلفة، وليس الجميع يجيدون الإنجليزية، فلا بد من وجود مؤسسة تسد هذه الفجوة وتملأ هذا الفراغ في العمل الإسلامي للنساء غير الناطقات بالعربية، فأسسنا «الجمعية الإسلامية لرعاية المرأة».

هذه الجمعية تشارك في عضويتها أكثر من 2000 سيدة، لجنة الإدارة تتكون من 9 نساء يمثلن أغلب المكونات، وكل سيدة من هؤلاء التسع تعتبر سفيرة لدى الجمعية عن الجالية التي تتبعها، تقوم بدعوتهن لأنشطة الجمعية، وتبحث احتياجاتهن، ويعمل معنا عدد كبير من المتطوعات، ونعمل جميعاً بروح طيبة، فعندما يجمعنا الإسلام ليس هناك أفضل من ذلك.

ولخدمة كل المكونات جعلنا الدروس الدينية بعدة لغات حسب اللغة الخاصة بكل جالية، فهناك اللغة العربية، والإنجليزية، وكذلك الأوردو للنساء من شبه القارة الهندية، ولغة البحاصا لمن هم من ماليزيا وإندونيسيا، وهكذا.

● ماذا عن الأنشطة؟

– أنشطة الجمعية متعددة، كالدروس والمحاضرات الدينية، أنشطة إغاثية ومساعدات، وأنشطة رياضية، حتى إن هناك فرقاً رياضية للفتيات بالجمعية، وأنشطة تحفيظ القرآن ومدارس السبت والأحد، وأنشطة للنساء من كبار السن ورحلات ترفيهية لهن، والاحتفال بالأعياد، إلى جانب المشاركة في أنشطة تقوم بها وتمولها الحكومة، بالإضافة إلى حملات التوعية سواء من المدارس أو الجهات الرسمية، حيث نستضيف مسؤولين من هذه الجهات في فعاليات توعوية للنساء بالجمعية، حتى الجانب العائلي سواء الخلافات التي تحدث بين الزوجة وزوجها أو بين الأم وأبنائها نسعى في حلها، كما نستضيف أنشطة للمؤسسات الإسلامية وللشيوخ في الجمعية، حتى في التوعية السياسية سواء في الانتخابات أو غيرها نستضيف مسؤولين في هذه الجوانب لتوعية وتأهيل النساء المسلمات، فضلاً عن أنشطة لخدمة المحتاجين.

● بعد هذه المسيرة الطويلة من العمل التطوعي الخاص بالنساء في أستراليا، بماذا تنصحين المرأة المسلمة في الغرب؟

– من أهم الأشياء التأسيس في الصغر على القيم، فهذا يبقى مع الإنسان حتى وإن تغيرت به الظروف والأحوال، ويكون حاضراً في الكبر، فكل ما ربانا عليه أبي وأمي في الصغر من قيم أستحضرها في عملي وأستفيد منها والأنشطة والمشاركة المجتمعية، وتحمل المسؤولية تحت ضغط.

في الغرب الواجب الأول للأسرة هو متابعة أولادهم في التربية، واكتشاف ما لديهم من مواهب وقدرات وتنميتها وجعلهم عناصر مفيدة ومشاركة في المجتمع.

لا شيء في بلاد المهجر يعوض العائلة، فالأسر المسلمة كلما كانت مترابطة تمكنت من حماية أبنائها وربطهم بهويتهم ودينهم، مع صعوبة ذلك في هذه الدول المختلفة كلياً عن بلادنا، والبحث عن الكفاية المادية ليس مبرراً للانشغال عن الأولاد، فإذا تفككت الأسرة وضاعت قيم أبنائنا فما قيمة الكفاية المادية؟!

وأختم بما قلته في وسط الحوار، أن المسلم عندما يعمل لخدمة دينه فالله تعالى يرزقه البركة في نفسه وأسرته ويجعله يشعر دائماً بالراحة والطمأنينة.

واجبنا تجاه الدول التي تستضيفنا أن نعيش فيها ونحترم قوانينها ونراقب الله تعالى في جميع معاملاتنا مع المسلمين وغير المسلمين، وأن نكون فاعلين في المجتمع.■

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

رحل العديد من العلماء والمصلحين والمحسنين بعدما سطروا بثباتهم وعملهم من أجل دينهم ونهضة بلادهم سطوراً من معاني الرجولة الحقيقية التي تفنى من أجل رفعة هذا الدين، فصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب: 23)، وممن توفاهم الله تعالى في ديسمبر:

مصلحون رحلوا في ديسمبر.. الشايع والخطيب وصقر

العم صالح الشايع.. المحسن الأديب

في حي المرقاب بالجهة الجنوبية من الكويت، عاشت أسرة الشايع (التي تنحدر من نجد) وصنعت لنفسها مكانة، وكان منها العم صالح علي حمود الشايع، الذي ولد يوم الخميس 3 صفر 1329هـ/ 2 فبراير 1911م، وقد حرص أبوه على تعليمه القرآن في صغره؛ فألحقه بالكتاتيب قبل أن يلتحق بالمدرسة المباركية، ثم مدرسة العامر، ثم المدرسة الأثرية، إلا أن التجارة استهوته وحب المغامرة؛ فسافر مع والده إلى الهند في خريف 1926م وعمره لم يتجاوز الـ16 ربيعاً.

اهتم بفقراء المسلمين بالهند وأقام لهم أعمالاً خيرية وكان سفيراً صامتاً للإسلام بخلقه وصدقه

تعلم في الهند قراءة الصحف التي تصدر باللغة الإنجليزية؛ ونمت عنده رغبة المطالعة باللغتين العربية والإنجليزية، كما كان يطالع صحيفة «الأهرام» المصرية أسبوعياً؛ ما عمل على زيادة ثقافته وإدراكه السياسي.

ظل يعاون والده في تجارته حتى استلم العمل من والده عام 1931م الذي عاد ليستقر في الكويت، فطور تجارته، ووسع من علاقاته بالمسؤولين الذين كانوا يفدون لمدينة مومباي الهندية.

مع اهتمامه بتجارته اهتم بفقراء المسلمين في الهند، وتابع أخبارهم، وأقام لهم العديد من الأعمال الخيرية؛ فبنى عدة مدارس مثل «مدرسة عائشة أم المؤمنين»، ومساجد في أنحاء الهند، بل وفي سيلان (سريلانكا)، وكان يهتم بمدارس البنات بصورة أكثر؛ لأنهن لم يأخذن حظهن من التعليم هناك في ذلك الوقت، كما كان معيناً للشباب المقبل على الزواج بمساعدتهم.

انتقل إلى لبنان، وأسس فيه عدة شركات قبل أن يعود للكويت عام 1951م ويستقر بها؛ وعُرضت عليه الوزارة إلا أنه اعتذر.

كان له مجلس يعقد دائماً يشهد فيه الأدب والشعر، وكان يعتز بأهل الصلاح في ديوانه، ويقرب العلماء، ويحب مجالستهم، كما كان يتحسس أخبار من غاب عن المجلس خاصة الشباب ويسأل عن أحوالهم وظروفهم.

كان أساس نجاح عمل الشايع في الهند (كما يذكر) الصدق والأمانة التي تحلى بها وظهرت لجموع من تعامل معه؛ فكان سفيراً صامتاً للإسلام بخلقه وصدقه في البيع والشراء.

ظل محافظاً على مجلس العلم والخير حتى رحل يوم 18 من ذي القعدة 1427هـ/ 8 ديسمبر 2006م، عن عمر ناهز الـ94 عاماً.

ورثاه يعقوب يوسف الإبراهيم بقوله: «سنفتقد جلساته وحديثه بصراحة وامتلاكه ناصية الكلام ينتقي من الشعر أطيبه ومن الحديث أفضله».■

عبدالبديع صقر.. ورحابة الدعوة

أطلق عليه «الداعية المهاجر»؛ حيث كان شغفه بدعوته ودينه سبباً في عمله في كل مكان حلَّ فيه من أجلها.

ولد عبدالبديع صقر في بلدة بني عياض التابعة لمركز أبو كبير بمحافظة الشرقية بمصر عام 1334هـ/ 1915م، وكان لوالده أكبر الأثر في تنشئته تنشئة إسلامية.

حصل على البكالوريا عام 1935م، وعمل بعدها في محال البن، قبل أن ينتقل إلى القاهرة ليلتحق بكلية الآداب.

عرف الإخوان عن طريق رسالة «نحو النور» في بلدته، وحينما انتقل إلى القاهرة عام 1936م تعرف إلى حسن البنا وبايعه على العمل للإسلام، ولازمه 12 عاماً، وقدم له البنا كتابه القيم «كيف ندعو الناس؟»، وأصبح واحداً من الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين وعضو الهيئة التأسيسية للجماعة الذين عملوا لدينهم ووطنهم.

كان صقر شديد التواضع، تغلب عليه النشأة الريفية التي لم تفارقه طيلة حياته؛ فلم يكن يحب التكلف لا بالقول، ولا بالعمل، وكان معروفاً بالصراحة والنصح بكلمة الحق.

تعرض للمحنة والاعتقال حينما حُلت جماعة الإخوان عام 1948م قبل أن يخرج

www.mugtama.com

محب الدين الخطيب.. العالم الأديب

من العلماء والمصلحين من يوفقهم الله للقيام بأعمال تتعدى أعمارهم، ومن هؤلاء العالم المصلح الشيخ محب الدين الخطيب، الذي حمل هَمَّ دينه وأوطانه أينما حل أو رحل.

ولد محب الدين الخطيب في حي القيمريّة بدمشق في رجب 1303هـ/ مايو 1886م، ويمتد نسبه إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني ببغداد حيث نزحت أسرته إلى الشام، كما أنه خال الشيخ علي الطنطاوي.

كان والده مدرساً وواعظاً بالجامع الأموي، وهو ما كان سبباً في نشأته الدينية، إلا أن والديه توفيا وهو صغير.

تعلم القراءة والكتابة، وحفظ كتاب الله، ثم التحق بمدرسة الترقي النموذجيّة، واستمرت مسيرة التعليمية حتى سافر إلى إسطنبول والتحق بكليتي الحقوق والآداب معاً، وكان مولعاً بالقراءة، وتأثر بكتاب «طبائع الاستبداد» للكواكبي، كما كون جمعية النهضة العربية لنشر اللغة العربية والحفاظ عليها.

التحق بوظيفة مترجم في القنصلية التركية باليمن، وأنشأ مدرسة كانت تعد الوحيدة في الحديدة، وذلك قبل أن يشد رحاله إلى مصر حيث رحابة العلم والعلماء خاصة بعد دخول فرنسا لدمشق، ووصلها عام 1920م، فعمل صحفياً في صحيفة «المؤيد»، وذاع صيته خاصة في مجال محاربة

كان وطنياً مدافعاً عن كل أوطان الإسلام وجاهر بمعاداة الفرنسيين والبريطانيين والغرب المحتل

التبشير والحركات التنصيرية، وكان باكورة أعماله كتاب «الغارة على العالم الإسلامي»، كما أسس المكتبة السلفيّة ومطبعتها.

وحينما اجتمع كوكبة من العلماء في مصر عام 1927م لمواجهة التنصير، واتفقوا على إنشاء مجلة «الفتح»، اختير الشيخ محب الدين الخطيب رئيساً لتحريرها، قبل أن يساهم معهم في نشأة الشبان المسلمين.

توطدت علاقته بالشيخ حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان، ووالده، حتى أصبح أول مدير لتحرير مجلة «الإخوان المسلمون» التي صدرت عام 1933م، وكان يرى في جماعة الإخوان ومرشدها القاطرة التي تجمع كل المخلصين للعمل الإسلامي والوطني.

كان لمحب الدين الخطيب نشاط لم يبلغه مثله حتى وصفه د. محمد رجب بيومي بقوله: «إن محب الخطيب كان أمة في واحد»، وكان وطنياً مدافعاً عن كل أوطان الإسلام حيث جاهر بمعاداة الفرنسيين والبريطانيين والغرب المحتل وتعرض للحبس بسبب ذلك.

أوقف مجلة «الفتح» عام 1948م وقال قولته المشهورة بعد اضطهاد حكومة النقراشي لكل توجه إسلامي: «أوقفتها حينما أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرماً يفتّش ويعاقَب»، ثم تولى رئاسة تحرير مجلة «الأزهر» لمدة 6 سنوات في الفترة من عام 1952 – 1958م.

تفرغ في آخر حياته للتأليف، وظل كذلك حتى توفاه الله يوم الثلاثاء 21 شوال 1389هـ/ 30 ديسمبر 1969م، بمستشفى الكاتب بالدقي عن عمر ناهز الثانية والثمانين عاماً، ودفن بمصر.■

المصادر

1 – فرحان عبدالله الفرحان: المدرسة والأب (1911 – 2006م)، 29 ديسمبر 2006، https://bit.ly/3jX6xv9

2 – محمد مطيع الحافظ: تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري، جـ2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1986.

3 – حيدر قفه: وفقيد آخر (الداعية الإسلامي الكبير عبدالبديع صقر كما عرفته)، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م.

مع بقية إخوانه، وبعد ثورة يوليو واشتداد الصدام مع عبدالناصر رحل إلى قطر عام 1954م، وعُيِّن مديراً للمعارف بقطر، ثم مديراً لدار الكتب القطرية، ثم مستشاراً ثقافياً لحاكم قطر، وعرض مشروع إنشاء روضات إسلامية على حكام الإمارات عام 1969م فرحبوا بالفكرة وسهلوا إنشاءها، ومنها مدارس الإيمان.

عُرف بين الجميع في منطقة الخليج بمواقفه وعلمه ولباقة حديثه، حتى إن أمراء الخليج كانوا يكنون له التقدير.

انتقل، رحمه الله تعالى، إلى جوار ربه، مساء السبت 12 ربيع الأول 1407هـ/ 13 ديسمبر 1986م، في مصر؛ حيث توجه إلى مدينة بلبيس بالقرب من الزقازيق لإلقاء محاضرة، وبعدها ركب سيارته قاصداً الزقازيق، فمات وهو يقود السيارة، فانحرفت به إلى جانب الطريق، وسقطت في مجرى مائي، ولم يدركه الناس إلا في وقت متأخر؛ حيث حُمل إلى المستشفى، وغُسِّل، ودُفن ببلدته.■

عرف بـ«الداعية المهاجر» فكان شغفه بدينه دافعاً لعمله الدعوي في كل مكان حلَّ فيه

إعداد- د. أحمد ناجي:

الإجابة لفضيلة الدكتور عجيل النشمي حفظه الله:

عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي والمجمع الفقهي الإسلامي
رابطة العالم الإسلامي - حالياً

الموعظة وصلة الرحم

● شاب يقول: إن والده مبتلى بشرب الخمر، فهل يجوز للابن أن يتلف هذه الخمر بأن يكسر علبها أو يرميها دون علم والده؟ ولو فعل ذلك هل عليه شيء؟

- ينبغي أن تنصح والدك غاية ما تستطيع وتلح في ذلك، وتحاول منع دخولها بيتكم، وأما تكسيرها أو رميها فهذا إن كان لا يؤدي إلى مفسدة أكبر من خلاف شديد مع والدك قد لا تؤمن عقباه فلا تقدم على هذا الموضوع حفاظاً على صلة الرحم، وإذا حدث أن أتلفت هذه الخمر فإنه باتفاق الفقهاء لا ضمان عليك ما دامت هذه الخمر لوالدك وهو مسلم، ولكن الفقهاء اختلفوا في ضمان إتلاف خمر غير المسلم من يستبيحها، فقال الحنفية والمالكية: إنه يضمن قيمتها لا مثلها، وقال الشافعية والحنابلة: إنه لا يضمنها لأنها غير متقومة مثلها مثل سائر النجاسات.

ثواب النية دون عمل

● سيدة تقول: هل يثاب المسلم على النية ولو بدون عمل؟

- نعم، يثاب المسلم على النية وإن لم يعمل، وذلك إذا نوى العمل ولم يتمكن من العمل، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة»[4]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي في الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل»[5].

فهذا كله وغيره يدل على أن المسلم يثاب على النية الصالحة وإن لم يتم العمل إذا لم يتمكن من الفعل لأي سبب كان.

تعيين النية في الصلاة

● هل يشترط تعيين النية في صلاة الفريضة وصلاة النفل، أم يكفي أن ننوي الصلاة دون تحديد فرض أو نفل؟

- يشترط جمهور الفقهاء تعيين النية في صلاة الفريضة، فلو لم ينو الفرض فلا تصح صلاته، وألحق الحنفية بالفرض الوتر والنذر وسجود التلاوة وسجدة الشكر، وفي رواية عن أحمد بن حنبل أنه لا يشترط تعيين النية في صلاة الفرض، وأما النفل إذا صلاه المسلم دون أن ينوي شيئاً وكان هذا النفل مطلقاً، فإن الفقهاء متفقون على أن إطلاق النية يكفي هنا.

وألحق بعض الشافعية بالنفل المطلق تحية المسجد وركعتي الوضوء، وركعتي الإحرام وركعتي الطواف، وصلاة الحاجة، والصلاة في بيته إذا أراد الخروج للسفر، والمسافر إذا نزل منزلاً وأراد مفارقته، وأما السنن الرواتب كسنة الفجر والظهر، فالجمهور على أنه لا يكفي إطلاق النية، وقال الحنفية في أحد قولين لهم تصح النية المطلقة.

الطاعة في المعروف

● يوجد حديث عن الجنود الذين ينفذون أوامر قائدهم الظالم وأنهم يحشرون معه يوم القيامة، فهل إذا كان هذا الجندي مُكرَهاً ولو لم ينفذ ما يؤمر به يُقتل ينطبق عليه الحكم نفسه؟

- نعم، ولو كان مُكرَهاً، فمن أكره على القتل أو الزنى يقتل ويجلد أو يرجم إذا كان محصناً، بدليل حديث عليٍّ رضي الله عنه قال: «بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، فاستعمل رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه فغضب، فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف»[6].

سلة غذائية من الزكاة

● هل يجوز شراء سلال غذائية من أموال الزكاة وتوزيعها على الفقراء والمهجرين في سورية واليمن والقدس؟

- يجوز دفع الزكاة نقداً كما يجوز دفعها لشراء السلال الغذائية الرمضانية للمستحقين في القدس واليمن والمهجرين من سورية ونحوهم من المستحقين في أنحاء العالم الإسلامي، ما دام في هذا مصلحة للمستحقين للزكاة، وقد تكون أفضل من دفع النقد لغلاء السلع وعدم قدرة المستحقين على شراء المهم من السلع الغذائية التي قد لا توجد في أماكن إقامتهم، فما دامت مصلحة المستحقين في توفير السلع الغذائية فيفضل توفيرها بقيمة الزكاة الواجبة.. والله أعلم.

قراءة القرآن على المريض

● هل يجوز أن يقرأ القرآن الكريم على مريض بقصد أن يشفيه الله تعالى؟ وأي الآيات أو السور يمكن قراءتها؟

- لا خلاف بين العلماء في أن القرآن الكريم شفاء ورحمة للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: 82)، لكن العلماء اختلفوا في موضوع المرض الذي يشفيه القرآن؛ هل هو مرض البدن؟ فبعض الفقهاء قال: إن المرض المقصود في الآية هو مرض القلب، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم

مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 57)، وذهب جمهور الفقهاء إلى أن القرآن شفاء لأمراض القلب وأمراض البدن أيضاً، وهذا القول هو الصحيح الذي تدل عليه الأحاديث والآثار.

وقد ثبت أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رقى سيد قوم من العرب لُدِغَ، فقرأ عليه «الفاتحة» سبع مرات فشفي، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على فعله، وقد ورد الاستشفاء بسائر آيات القرآن الكريم وبالمعوذتين على سبيل التخصيص، فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها، فهذا دليل على جواز الاستشفاء بآيات القرآن الكريم عامة وبالمعوذتين خاصة[1].

وكما يجوز الاستشفاء بالقرآن الكريم يجوز أيضاً الاستشفاء بالدعاء والذكر المأثورين عن النبي صلى الله عليه وسلم، لما روت عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله على وسلم كان يعوذ أهل بيته يمسح بيده اليمنى ويقول: «لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»[2].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان ابن أبي العاص رضي الله عنه وقد شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألماً كان به: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[3].

وليس معنى هذا جواز امتهان علاج الناس بحيث يصبح ذلك عملاً يتخصص به الناس ويأخذون عليه الأجر ويستغلون حاجة الناس، فالقرآن أكرم من أن يكون وسيلة كسب، ومنع ذلك من باب سد الذريعة لئلا يمتهن القرآن الكريم ويستغله ضعاف النفوس، وإلا فإنه من حيث أخذ الأجرة فإنه جائز، وقد ثبتت بتكرار الأحداث أن الأشخاص الذين يجري الله على أيديهم الشفاء بآيات القرآن الكريم رجالاً أو نساء يتصفون بصفة الصلاح والتقوى فيجري الله تعالى على أيديهم وبسبب بركة القرآن العظيم الشفاء، ولذا لا يمكن من عُرف عنه الكذب وفساد الحال من أن يستغل القرآن الكريم؛ لأنه في هذه الحال مشعوذ يمتهن القرآن الكريم لسمعة لا يستحقها أو للتكسب، وإذا ثبت ذلك فلولي الأمر أن يمنع أمثال هؤلاء المشعوذين من استغلال البسطاء من الناس.

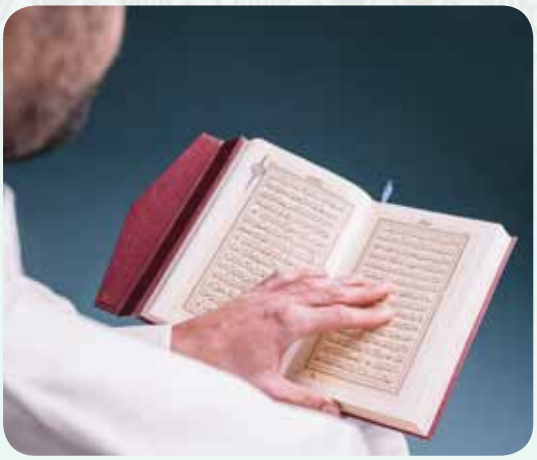

مخيمات الفتيات والبيات بها

● يتكرر إقامة مخيمات للفتيات في أيام العطل، ويكون المبيت إما في بيت إحداهن، أو في مخيم خاص بالفتيات، ويكون معهن بعض الأمهات أو المربيات، والغرض من هذه المخيمات دعوي وتربوي وترفيهي، فهل يجوز أن تبيت الفتاة خارج بيت أهلها؟

– الأصل أن المرأة متزوجة أو غير متزوجة تلزم بيت أهلها أو زوجها لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: 33)، ومعنى الآية أن الواجب أن تبيت أو تلزم المرأة بيتها، والخطاب لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم ولنساء المسلمين، وجاء من حديث أنس رضي الله عنه قال: جئن النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: يا رسول الله، ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قعدت –أو كلمة نحوها– منكن في بيتها، فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله».

ولما كان الأصل، حسب النصوص، عدم جواز الخروج، لا يجوز خروجها عن هذا الأصل إلا لحاجة ماسة، وقد ذكر الفقهاء هذه الحالات من مثل ذهابها لزيارة والديها أو لصلة رحمها، أو ذهابها لقضاء حاجاتها من مأكل ومشرب إن لم تجد من يقوم لها بذلك، وكذا حضورها مناسبات الأفراح والأتراح، ويلحق بذلك ذهاب المرأة إلى مجالس العلم الدعوية والفقهية في المساجد أو مكان آخر، أو لتحصيل العلم في المدارس والجامعات، وكذا حضورها صلاة الجماعة في المسجد لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات»؛ أي غير متطيبات[7]، أو خروجها لما جرى العرف به بذهابها إلى المحال التجارية أو الأسواق ونحوها، وجواز ذلك مشروط بما يأتي:

1 – أن تكون المرأة في كامل حجابها الشرعي المعروف.

2 – أن تأمن على نفسها في ذهابها وعودتها.

3 – أن يكون خروجها بإذن زوجها إن كانت ذات زوج، أو إذن أهلها ووليها، وما يجري به العرف لا يحتاج إلى استئذان في الحالات العادية كذهابها لمدرستها أو جامعتها أو جيرانها أو الأماكن القريبة من البيت.

4 – أن يكون خروجها لغرض مشروع وحاجة معتبرة شرعاً.

وبناء على ذلك، فيجوز ذهاب الفتيات إذا التزمن بالشروط السابقة إلى مخيمات دعوية أو فقهية وترفيهية في البيوت والخيم، مع التشديد في الخيم ألا يطلع عليهن الرجال، ولكن لا يجوز لهن المبيت خارج بيوتهن لعدم الحاجة إلى ذلك، أو لأنه مما لا يتوقف عليه تحصيل العلم ونحوه مما ذكرنا، وقد ورد النهي عن أن تضع المرأة ثيابها في غير بيت زوجها ومن باب أولى المنع لغير المتزوجة، قال صلى الله عليه وسلم: «وما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها»[8]، ومقصود الحديث أنها هتكت ستر الحياء وما يناسب المرأة من الصون والحياء.■

الهوامش

(1) الموسوعة (13/27).
(2) البخاري (10/209).
(3) انظر: الموسوعة الفقهية (13/27).
(4) البخاري (11/323)، ط. السلفية، ومسلم (1/118)، ط. الحلبي.
(5) أخرجه النسائي (2081)، والحاكم (1/311)، صححه الحاكم والذهبي.
(6) البخاري (7145).
(7) أبو داود (381/1)، حديث حسن.
(8) الترمذي (114/5)، وقال: حديث حسن، وقال الألباني: صحيح.

www.mugtama.com

تـربـوي

محطات إيمانية في طريق التربية

أبْشِر.. ولا تنكسِر

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

في يوم عاصف من أيام الشتاء الباردة، نظرت من شرفة منزلها تتفقد أحوال الجو وتسبح بحمد ربها العظيم الخلاق، الذي له في اختلاف الفصول وتعاقب الأيام حِكَم بليغة لا نعلمها، لفت نظرها تلك الشجرة التي تراها غير بعيد من شرفتها، رأتها وهي تهتز مع كل هَبَّة من هَبَّات الرياح التي تكثر في هذا الفصل من فصول العام، تترنح من آنٍ لآن محاولة الصمود أمامها، ومع كل هزة من هزاتها التي تقوى تارة وتهدأ أخرى رأتها وهي تتمايل وتنحني مع فروعها الطرية وكأنها تحتضنها بحنان أو تهمس في آذانها ببعض كلمات الصبر والتثبيت حتى تخرج بها من هذه المحنة بسلام، ودون أن تنكسر.

تذكرت مع هذا المشهد قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ خامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ ورَقُهُ من حَيْثُ أتَتْها الرِّيحُ تُكَفِّئُها، فإذا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ، وكَذلكَ المُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بالبَلاءِ» (رواه البخاري)، وفي رواية مسلم: «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء»، فشبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بالخامة من الزرع، وهي النبتة الطرية منه تميلها الريح مرة وتعدلها مرة، ووجه التشبيه أن المؤمن إن جاءه أمر الله انصاع له ورضي به؛ فإن جاءه خير فرح به وشكر، وإن وقع به مكروه صبر ورجا فيه الأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكراً (انظر الدرر السنية، الموسوعة الحديثية).

الله تعالى يبتلي عباده ليقربهم إليه بصدق لجوئهم إليه ويصطفيهم إذا صبروا فيدخلهم الجنة بغير حساب

أكثر الناس تعرضاً لمشاق الطريق هم المؤمنون وعلى قدر مشقته والصبر تكون الجائزة في نهايته

الابتلاء قرب واصطفاء:

إن الحياة الدنيا لا تصفو ولا تخلو من كدر، وإن المؤمن يناله النصيب الأكبر من ابتلاءاتها ومحنها، ليس لهوانه على الله عز وجل، وإنما يبتلي الله سبحانه عباده؛ ليقربهم إليه بصدق لجوئهم إليه وقت البلاء، ويصطفيهم إذا صبروا، بل ويجتبيهم فيدخلهم الجنة بغير حساب، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: 10)؛ لذا فقد كتب الله تعالى على المؤمن حظه من الابتلاء حتى يلقاه نقياً من الذنوب طاهراً من الخطايا، مرفوع الدرجات كثير الحسنات، وذلك حين يتقلب العبد بين منزلتي الشكر والصبر، وقد استحسن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المؤمن وتعجب منه وقال: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له» (رواه مسلم).

كن أنت الصابر الشاكر:

إن نعَم الله تعالى تغمرنا وتحيط بنا من كل جانب، وكما يبتلينا الله بما نكره فإنه أيضاً يختبرنا بما نحب، وقد قال الله تعالى: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: 35)، وجاء في تفسيرها: أي نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، بما تحبون وما تكرهون، نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى (تفسير ابن كثير، البغوي)؛ فالمؤمن مبتلى بالنعم أو بالمحن إلى أن يلقى الله سبحانه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ الخامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُها الرِّياحُ، تَصْرَعُها مَرَّةً وتَعْدِلُها، حتَّى يَأْتِيَهُ أجَلُهُ» (رواه مسلم).

فالدنيا كلها اختبار كبير، لكن النفس البشرية ترى ابتلاءها الحقيقي فيما يعرض لها من أقدار تراها في ظاهرها شراً لها، وهي في حقيقتها خير وإن كنا لا نرى ذلك، ولو كان هذا الابتلاء شراً كما يظن البعض

لَمَّا ابتلى الله أنبياءه ورسله وصالحي عباده، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن يُرِد الله به خَيْراً يُصِبْ منه» (رواه البخاري)، فكان ابتلاؤهم رفعة لهم وعلو منزلة ودرجة عند الله تعالى، وقد علموا ذلك، فكانوا يتعاملون مع ما يصيبهم من أقدار الله سبحانه بثبات وحب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمَّ الصَّالحون، إن كان أحدُهم ليُبتلَى بالفقر، حتَّى ما يجدُ أحدُهم إلَّا العباءةَ التي يحويها، وإن كان أحدُهم ليفرَحُ بالبلاء كما يفرحُ أحدُكم بالرَّخاء» (السلسلة الصحيحة)، فعظم أجرهم بعظم بلائهم وجميل رضاهم وصبرهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن عِظم الجزاء مع عِظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (صحيح الترمذي).

استعن بالله تعالى:

إن الحياة الدنيا معبر يعبره المارون به، وسبيل يسلكه السائرون، وإن أكثر الناس تعرضاً لمشاق الطريق ووعورة طرقه وصعوبة مسالكه هم المؤمنون من عباد الله عز وجل، وعلى قدر مشقته والصبر على لأوائه ومتاعبه تكون الجائزة في نهايته، فإذا ما قابلك البلاء يوماً فلا تقل: لماذا؟ ويا ليت! ولا تتحسر، واصبر ولا تنكسر، فما أكثر ما يقابل المؤمن في حياته من عوامل الانكسار التي قد تختلف من وقت لآخر ومن شخص دون شخص، وهذا يتطلب منه أن يكون ذا إرادة قوية وصبر كبير وثبات على دينه وقِيَمه وأخلاقه، وقد يجد صعوبة في ذلك ويستشعر في نفسه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» (صحيح الترمذي).

لكن المسلم القوي مع هذا لا ينكسر في كل أحواله حلوها ومرها، وخيرها وشرها فراراً إلى الله عز وجل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير..» (رواه مسلم).

المؤمن القوي لا ينكسر:

إن المؤمن يتعامل في كل أحواله مع الله، يرجو رحمته ويخاف عقابه، ويعمل لحياته الأبدية ومستقبله الحقيقي، لذا فهو يتقوى بالله ولا ينكسر.

- لا ينكسر أمام مغريات الحياة فلا ينساق وراء شهواتها المحرمة، ولا يخوض في شبهاتها، بل يعتصم بالله عز وجل، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: 20).

- لا ينكسر أمام فتنة المال والولد، فالله تعالى يعلمنا: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن: 15)؛ أي بلاء واختبار يحملكم على كسب المحرم ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله (تفسير القرطبي)، فلا يجمع المؤمن ماله من حرام بسحت أو رشوة أو زور أو غصب، بل يكسبه بعرق الجبين من حلال، ويصبر ويتعفف حتى يغنيه الله تعالى، كما أنه لا يطغيه غناه، بل يشكر ربه الذي منحه وأعطاه ويؤدي حقه فيه، مع القيام بحق أولاده من التربية والرعاية والنفقة.

- لا ينكسر أمام شهوة الجسد، بل يغض من بصره ويحصن نفسه بالزواج، ويتعاون الزوجان معاً على طاعة الله عز وجل.

- لا ينكسر أمام حظوظ النفس، فهو لا يسرف في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه.

- لا ينكسر أمام مستجدات الموضة وصراع الأزياء والانسياق وراء كل جديد، فإن همه في الحياة أكبر من ذلك وأسمى.

- لا ينكسر أمام كلام الناس والعادات التي تخالف شرع الله سبحانه، بل ما وافق الشرع أخذ به وما عدا ذلك فليس له فيه حاجة.

- لا ينكسر أمام وسائل التواصل الاجتماعي بتضييع أوقاته معها، والأحرى به ألا يبعثر ساعات عمره بين أروقتها، وألا يستمع لكل ما يقال أو ينشر كل ما يسمع.

- لا ينكسر أمام الأصوات المنادية بالتحرير المزيف الذي يُبتغَى به التحرر من الدين وأخلاقه وقيمه، بل يزداد تمسكاً بدينه وينافح عنه بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

- لا ينكسر أمام الشعارات الزائفة، والأفكار المنحرفة، التي تشوه العقيدة وتمس جناب التوحيد.

- لا ينكسر أمام الشيطان الذي يزين للناس كل شر، بل يستعين بالله العزيز القدير، ويستعيذ به من شرور الشياطين، ويحسن عباداته ويؤدي واجباته، ويخلص نياته.

- لا ينكسر أمام المحن والابتلاءات التي تشق على النفس، بل يصبر ويحتسب، لا يشكو ربه لعباده، لا بكلمة صوتية ولا برسالة خطية، ولا بحالة على وسائل التواصل! فإن البلاء سيزول والفرج سيأتي والأجر سيُكتب، إن شاء الله تعالى، إذا صبر العبد ورضي وسلم أمره لله الذي بيده كشف الضر وحده، وبيده خزائن الأرزاق كلها من مال وولد وعافية، ووظيفة وزوج ومسكن وعائلة، وعلم وعمل وأخلاق، وهداية وراحة بال.

أبشر أيها المؤمن، أبشر ولا تنكسر، وسل الله العافية دون ملل أو كلل حتى يُفتح لك الباب، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من فُتِح له منكم باب الدعاء، فُتحت له أبواب الرحمة، وما سُئل الله شيئاً يعني أحَبَّ إليه من أن يُسأل العافية» (صحيح الترمذي).■

لو كان الابتلاء شراً لَمَا ابتلى الله تعالى أنبياءه وصالحي عباده

المؤمن يتقوى بالله سبحانه ولا ينكسر لأنه يتعامل معه في كل أحواله يرجو رحمته ويخاف عقابه

www.mugtama.com

مقال

د. سيف الدين عبدالفتاح

أستاذ العلوم السياسية

مدخل السفينة..

رؤية مجتمعية وحضارية

حديث السفينة للنبي عليه الصلاة والسلام «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا خَرْقًا فِي نَصِيبِنَا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» (رواه البخاري).

يأتي مدخل السفينة على قاعدتين مهمتين، من الممكن أن تفيدا في مسارات البحث، ضمن موضوعات وقضايا يمكن أن تثور في حقول معرفية عدة، على رأسها: الاجتماع والسياسة والتربية.

القاعدة الأولى: أن الحديث النبوي، بما يمثله من «جوامع الكلم»، يمكن أن يشكّل مصدراً مهماً للمعرفة[1] والقدرة على صياغة مؤشراتها ومؤثراتها، في تناول كثير من قضايا العلم الإنساني والاجتماعي، وهو أمر سبق تجريبه من خلال جهد بحثي سابق، ويشكل هذا البحث مواصلة واستمراراً له.

القاعدة الثانية: أن تأسيس رؤى منهجية على قاعدة من فكرة «المثل»، وتفعيلها إنما تشكل واحدة من أهم الأدوات المنهجية المهمة، وهذا التعامل ليس بدعاً أو خروجاً على النشاط المنهجي للجماعة العلمية في حقول معرفية متنوعة في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

من خلال هاتين القاعدتين (إحداهما معرفية والأخرى منهجية) ربما نصل إلى قاعدة ثالثة تنصرف إلى عملية تطبيق، تهدف إلى استخراج الصِّيغة من أصول الصِّبغة، والصياغة من رحم الصيغة، والتطبيق الذي يتجلى في إمكانات التوظيف والتفعيل والتشغيل ضمن قضايا بعينها[2].

> **الحديث النبوي بما يمثله من جوامع الكلم يشكّل مصدراً مهماً للمعرفة والقدرة على صياغة مؤثراتها**

> **السُّنة النبوية دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة إلى المعرفة والرقي الحضاري**

المثال النبوي

بين وظيفة الرسالة وتوظيف الأمثال، قد لا يكون من المناسب في هذا المقام البحث تفصيلاً في هذا المجال؛ فلهذا شأن آخر ومجال أرحب فيما لو أردنا الحديث عن هذا الموضوع.

إن موضوع الأمثال يكتسب أهمية من حيث ذيوع مادته وانتشارها وامتزاجها الشديد بلغة الناس، وارتباطها بمختلف جوانب حياتهم؛ إذ إن الأمثال تمثل رصيداً حضارياً هائلاً لكل شعب من الشعوب، ويتأكد ذلك بالنسبة لأمثال الحديث النبوي الشريف؛ لحاجة المسلمين إلى معرفتها وإقبالهم عليها، وهي من جملة وظيفة الرسالة في البشارة والنذارة والدعوة والبلاغ والأثر، المتمثل في استنارة حياة الناس في معاشهم، والقضايا المرتبطة به (السراج المنير)، وكل هذه الوظائف هي من جملة متطلبات الشهود الحضاري الواجب الاضطلاع به والوقوف عليه.

ويطول بنا المقام لو تتبعنا توظيف الأمثال، خاصة ما ارتبط بها من أحاديث نبوية؛ فالأمثال في كل أمة خلاصة تجاربها ومحصول خبرتها، وقواعدها المكنونة وصيغتها المقبولة، وإذا كانت سائر أمثال الناس بهذه المثابة؛ فلا غرابة في أن تكون أمثال الرسول صلى الله علية وسلم أكثر أهمية، وأبلغ حكمة، وأنصع بياناً، وأكرم معنى[3].

والمثل بهذا الاعتبار مجمل المعنى ومفعم بالمعاني الكثيفة، وهو على ما قال شوقي -أمير البيان العربي- واصفاً جوامع كَلِم النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكَثُر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونُزه عن التكلُّف؛ ومن ثم هو ميراث الحكمة، المقترن بالقبول الجامع بين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، من استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، وهو -من حيث توظيفه- الأعم نفعاً، والأعدل وزناً، والأحسن موقعاً، والأسهل مخرجاً، والأفصح معنى، والأبين مغزى[4].

والمثل في معانيه اللغوية قد يعين على

تصور معنى «الصيغة» فيه؛ أي النموذج، التي اشتهرت عند علماء نظريات المعرفة بمعاني «Paradigm» أي النموذج[5]؛ فالمَثَل في اللغة ما يُضرب من الأمثال، وهو من المماثلة والمشابهة، ومثَّل الشيء بالشيء سواه به، وجعله مثله وعلى مثاله ومنواله: الصيغة، والقاعدة، والمثال وضع الشيء ليُحتذى به.

وللمثل معان أخرى متقاربة نص عليها اللغويون والمفسرون، منها: الشبه، والنظير، والحجة، والآية، والعبرة، والعظة، والقضية ذات الشأن.. إلى غير ذلك من معان[6].

ومن هنا نقل الميداني في «مجمع الأمثال» في مقدمة للنظام حيث قال: «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع لغيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة..»، فالمثل -في إيماءة للجاحظ- هو المثال الذي يحذى عليه، ويقاس به، وينسب إليه، وعلى هذا فالمَثَل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه[7].

وها هو الحكيم الترمذي يتوقف عند معنى «المثال» في الأمثال حيث قال: «الأمثال: نموذجات في الحكمة، لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهتدي النفوس بما أدركت عياناً»[8].

وهذا من ألطف ما قيل في هذا الباب وأجمع، مفصلاً عن حديثه عن «النموذج»، فإنه يحدد وظائف الأمثال اجتماعياً وتربوياً، «فالأمثال عنده بمثابة وسائل الإيضاح، في عصرنا الحاضر، تمكن النفوس مما خامرتها الحيرة فيه، من أمور خفية، وترسخ الأفكار في الأذهان، فالأمثال نماذج حسية لأمور معنوية»[9].

وها هو الفارابي يحرك أصول التوظيف الحياتي للمثل وأثره: «المثل ما ترضاه العامة والخاصة، في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير بالغ المدى في النفاسة»[10].

ويفيدنا المرزوقي أن المثل «.. جملة من القول، مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتتنقل عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها..»[11].

الأمثال تكتسب أهميتها من ذيوع مادتها وامتزاجها الشديد بلغة الناس وارتباطها بجوانب حياتهم

.. وهي في كل أمة خلاصة تجاربها ومحصول خبرتها وقواعدها المكنونة وصيغتها المقبولة

وكأن لسان حال المرزوقي يستنفر الباحثين في تجليات وتطبيقات المثل كأداة مهمة حينما يقرر: «فتتنقل عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها»[12].

وللبلاغيين مدخل في هذا الباب يطول بنا المقام لو تقصينا بعضاً من أقوالهم وتنوع توجهاتهم[13].

غاية القول بنا في هذا المقام أن نشير إلى مجاميع الأمثال كما أشارت إليها العرب:

1 - الأقوال الموجزة السائرة، المتصلة بمناسبة من المناسبات.

2 - الحِكَم السائرة أو القائمة في العقول، والقصص ذات المغزى الأخلاقي.

3 - التشبيهات التمثيلية (التصويرية).

4 - عبارات كثُرت مناسباتها، فكثر تِرْدادها، حتى صارت على ألسن الناس.

فمن هذا البيان الذي أردناه إجمالاً في هذا الباب، فإن القصد النبوي بضرب الأمثلة لم يكن إلا تعليماً وتربية بطرائق متنوعة ومتعددة، قاصدة بذلك تحقيق مهمات الرسالة على أكمل وأبين وجه، ضمن رسائل اتصالية فاعلة تحرك الأفهام، وتؤصل للمعنى المفضي إلى المغزى، وتؤسس للوعي والسعي[14].

هذه مقدمة مهمة حول الأمثال عامة وأدوارها التي يمكن أن تقدمها في المعرفة والممارسة على حد سواء؛ نقدم من خلال هذه المقدمة قراءة واسعة من منظورات وزوايا مختلفة قراءة حضارية لحديث السفينة.■

الهوامش

(1) السُّنة كمصدر للمعرفة والبناء الحضاري: عمر عبيد حسنة، من فقه التغيير.. ملامح من المنهج النبوي بيروت، المكتب الإسلامي للنشر، 1995م، برغوث عبدالعزيز بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري، سلسلة كتاب الأمة (43).

(2) الارتباط بين الصبغة والصيغة والصياغة في معمار المنهجية الإسلامية: د. نادية مصطفي، د. سيف الدين عبدالفتاح (إعداد وإشراف)، دورة المنهاجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية: العوم السياسية نموذجاً، مركز الحضارة للدراسات السياسية - المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 2000.

(3) محمد جابر فياض العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى، 1414.

(4) محمد طه جابر العلواني، المرجع السابق.

(5) محمد جابر الفياض، الأمثال في القرآن، هيرندن - فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1993م، ص66.

(6) في المعاني اللغوية للمثل يمكن مراجعة: المرجع السابق، ص 27 وما بعدها.

(7) انظر في تلك الإشارات حول المثل من النظام والجاحظ: الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، ط2، القاهرة: مطبعة السعادة، 1959، ص7 وما بعدها.

(8) انظر هذا الرأي لدى الحكيم الترمذي: الترمذي، الأمثال في الكتاب والسُّنة، تحقيق علي محمد البجاوي. (القاهرة دار نهضة مصر الفجالة. (1395-1975)، ص2.

(9) دفعنا هذا التعريف الفائق والرائق إلى الوقوف لتضمينات مهمة لحديث السفينة.

(10) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، ديوان الأدب، تحقيق د. أحمد مختار عمر، الجزء الأوّل، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، (2003) ص 74.

(11) السيوطي، المزهر، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي (القاهرة، البابي الحلبي د. ت)، ح1/ 487.486.

(12) المترتبات على المثل مما يحسن الوقوف عليه وعنده: المرجع السابق.

(13) فاطمة الوهيبي، في المشترك بين الشعر والمثل قراءة في المدونة التراثية والتنظيرية، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد 110 السنة الثامنة والعشرون، حزيران 2008م، جمادى الآخرة 1429هـ.

(14) محمد جابر فياض العلواني، الأمثال في الحديث، مرجع سابق، ص30 وما بعدها.

www.mugtama.com

مقال

د. عدنان أبو عامر

أستاذ العلوم السياسية وخبير الشؤون «الإسرائيلية»

عملية القدس..

دلالات الزمان والمكان والمنفذ والسلاح

شكلت عملية القدس الفدائية التي نفذها الشيخ المعلم فادي أبو شخيدم استمراراً لهجمات بطولية سابقة، استهدفت قوات الاحتلال وقطعان المستوطنين المحتلين، صحيح أنها تتوقف أحياناً، لكنها تعود أقوى عوداً وأصلب قوة في أحيان أخرى، ومع ذلك؛ فإن هذه العملية تحمل جملة دلالات سياسية وعسكرية وأمنية عديدة، تستحق التوقف عندها، واحدة تلو الأخرى.

لعل الدلالة الأولى والأهم لهجوم القدس الذي أوقع قتيلاً «إسرائيلياً» وأصاب آخرين، بالإضافة إلى استشهاد منفذها، تتعلق بالتوقيت الخاص بها؛ فقد فوجئ «الإسرائيليون» من وقوعها، في ظل الانتشار المكثف لقواتهم الأمنية، وعدم وجود إنذارات أو تحذيرات استخبارية عن نوايا فصائل فلسطينية تنفيذ هجمات مسلحة أو عمليات عسكرية؛ الأمر الذي يعني بصورة

توقيت العملية جاء في ظل تزايد اقتحام المستوطنين لـ«الأقصى» دون اكتراث ببيانات الإدانة الدولية

العملية حملت رسالة أن تنفيذ الهجمات لا يقتصر على فئة عمرية بعينها ولا مستوى تعليمي محدد

أو بأخرى أن هناك ثغرة أمنية قاسية لدى هذه الأجهزة التي تتشدق ليل نهار بأنها تحكم سيطرتها على الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتحصي على الفلسطينيين أنفاسهم، لكن شخيدم أتاهم من حيث لم يحتسبوا، ونفذ عمليته في وضح النهار، وعلى مرأى ومسمع من الجميع، حتى إن كاميرات التلفزة استطاعت أن تلتقط له الصور الأخيرة وهو يطلق الرصاص على الجنود والمستوطنين.

أكثر من ذلك، فإن توقيت العملية جاء في ظل تزايد عمليات اقتحام المستوطنين للمسجد الأقصى المبارك، دون اكتراث ببيانات الشجب والإدانة والاستنكار، التي تصدرها الدول العربية والإسلامية، والمنظمات الدولية، لكن شخيدم قرر أن يرد على هذه الاقتحامات بطريقته الخاصة، من خلال استهدافه لقوات الاحتلال التي توفر للمستوطنين الحماية الكاملة، ولعل من الأمور اللافتة أن يكون القتيل «الإسرائيلي» يعمل مرشداً سياحياً لمؤسسة يهودية معنية باقتحامات الأقصى، ويسوق لهم الرواية اليهودية الباطلة حول المزاعم التاريخية في القدس والأقصى.

الدلالة الثانية مرتبطة بالمكان الذي وقعت فيه العملية، وهي القدس، وأي مكان سوى القدس يصلح لأن تقع فيه هذه العمليات، ويرتقي فيه الشهداء، ويخر المحتلون صرعى وقتلى؟! فكيف لو كان الحال «باب السلسلة» في قلب المسجد الأقصى، الذي يشهد في الآونة الأخيرة ذروة الاقتحامات الاستيطانية اليهودية؛ في محاولة مستميتة لتغييب الحق التاريخي للفلسطينيين والعرب والمسلمين في أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث المساجد التي لا تشدُّ الرحال إلا إليها، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل ذلك جعل من عملية القدس رداً طبيعياً ومتوقعاً على هذه السياسة «الإسرائيلية» الرسمية، على أمل أن تكبح جماحها، وتردعها عن المضي قدماً فيها، قبل أن يفوت الأوان، وحينها لا ينفع الندم، بعد أن تهود القدس، ويصبح «أقصانا هيكلهم»، و«براقنا مبكاهم».

حملت عملية القدس دلالة ثالثة متعلقة بمنفذها، فنحن اليوم أمام نموذج فريد من منفذي الهجمات المسلحة، الذين تبلور لدى الفلسطينيين و«الإسرائيليين» على حد

www.mugtama.com

سواء تصور يجعلهم يختزلون المنفذين في شبان، وفتيان صغار، وأحياناً أخرى فتيات، لكننا هذه المرة أمام مواصفات لم تتكرر كثيراً في منفذي العمليات المسلحة.

إن الشيخ فادي أبو شخيدم، ابن الـ42 عاماً، الحاصل على درجة الماجستير في الدراسات الشرعية، وأحد خطباء القدس ووجهائها، ومربي الأجيال، حيث يعمل معلماً في مدرسة الرشيدية، والأب لعدة أبناء، هذا نموذج عز نظيره بين منفذي الهجمات المسلحة، ويحمل إشارات بليغة لا تخطئها العين، من أهمها أنها ترسل رسالة أن تنفيذ الهجمات لا يقتصر على فئة عمرية بعينها، ولا ينحصر في مستوى تعليمي محدد، وقائمة منفذي عمليات المقاومة يجب أن تشمل جميع الفلسطينيين، كل الفلسطينيين، من مختلف الأعمار والمراحل؛ لأن الاحتلال يستهدفهم جميعاً، ولا يستثني أحداً منهم، ولذلك فمن الطبيعي أن يكون الجزاء من جنس العمل.

نموذج يحتذى به

أكثر من ذلك، فإن هوية أبو شخيدم، كعالم دين، وخطيب، ومعلم، يجعل منه أنموذجاً يحتذى لدى كثيرين آخرين، فقد كان بإمكانه أن يكتفي بدور التحريض والتعبئة، ولعله كان بإمكانه أن يقنع نفسه بأهمية دوره التنظيري والتوجيهي، لكنه لم يقنع بذلك أبداً، وكأنه امتثل لقول الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام

وفي الوقت ذاته، يبعث برسائل قاسية إلى أولئك العلماء المنتسبين إلى الدين ممن ارتضوا أن يكونوا جسراً يعبر عليه الحكام للتطبيع مع الاحتلال، فيسوغوا لهم الأمر، ويصدروا الفتاوى الجاهزة، والأحكام المعلبة، حتى جاء شخيدم فأقام عليهم الحجة.

مع العلم أن المنفذ كان معروفاً لقوات الاحتلال بأنه من نشطاء «حماس»، لكنه لم يخطر ببالها أن ينتقل فجأة من دور المعلم والشيخ إلى المهاجم والمقاوم، وهذه لعمري كانت مفاجأة من العيار الثقيل، لم تستفق منها المخابرات «الإسرائيلية» بعد، رغم أن وزير الأمن الداخلي «عومر بارليف» وصف فادي شخيدم بأنه «دأب على الحضور كل يوم للصلاة في المسجد الأقصى، لكنه يوم العملية قرر القدوم مع السلاح، حتى إن الهجوم برمته استمر فقط 30 ثانية».

السلاح المستخدم

الدلالة الرابعة المرتبطة بعملية القدس تتمثل بالسلاح المستخدم لتنفيذها، ولا سيما في ضوء الحملات الأمنية المسعورة التي تشنها قوات الاحتلال على الفلسطينيين، لمصادرة أي قطعة سلاح قد تصل إلى أيديهم، خشية استخدامها في تنفيذ هجوم فدائي، ورغم ذلك؛ فإن الفلسطينيين، خاصة أولئك الذين تتوفر لديهم إرادة المقاومة، وقهر المحتل، وإيلامه، لن تعوزه الطريقة والوسيلة للحصول على ذلك السلاح، رغم صعوبة الظروف وتعقيدها، فالحديث لا يدور عن الضفة الغربية أو قطاع غزة، بل عن القدس المحتلة، التي تشهد انتشاراً مكثفاً لقوات الاحتلال وأجهزته الأمنية على مدار الساعة، وتنشر جواسيسها في كل زقاق، لتزويدها عن أي قطعة سلاح وصلت إلى أيدي المقدسيين.

لعل الأكثر خطورة من حيازة شخيدم لسلاح ناري قتل به وأصاب من «الإسرائيليين»، ما ارتداه من درع واقية من الرصاص، وتنكره بزي مستوطن يهودي، كي يقترب أكثر من أهدافه، وتكون رصاصاته قاتلة، وليست جارحة فقط، وهو ما حصل فعلاً، ولعل الأساليب التنكرية تشير إلى حالة من الشجاعة والأريحية في آن واحد معاً لدى منفذ العملية، لأنه استفاد كثيراً من عمليات سابقة حين كان يباغت جنود الاحتلال المهاجمين الفلسطينيين، قبل أن يستلوا سلاحهم، بسبب الانتشار الكبير لهم في الساحات المرشحة لوقوع العمليات فيها.

لم يخطر ببال قوات الاحتلال أن ينتقل شخيدم فجأة من دور المعلم إلى المقاوم

الأكثر خطورة من حيازة شخيدم للسلاح ارتداؤه درعاً واقية من الرصاص وتنكره بزي مستوطن يهودي

الخلاصة من عملية القدس أنها شكلت هجوماً حاسماً وفاصلاً في تاريخ المواجهة مع الاحتلال، وعنوانها القدس والأقصى هذه المرة، وتذكير للعالم بأسره أن هذه المدينة والمسجد هما أساس الصراع، وأي حل سياسي يتجاوزهما لن يكتب له الدوام والبقاء، وفي الوقت ذاته؛ فإن سياسة فرض الأمر الواقع التي ينتهجها الاحتلال تجاه المقدسيين، ومحاولات تهويد المدينة المقدسة لن تبقى بدون رد فلسطيني، ولو جاء على صيغة مثل هذه العمليات الفردية التي تؤكد أن للقدس والأقصى رجالاً يحمونها، ويدافعون عنها، ولو عز النصير من العرب والمسلمين وأحرار العالم.■

مقال

أ. د. حلمي محمد القاعود

أستاذ الأدب والنقد

عبدالقدير خان.. صناعة الردع!

بعد خمسة وثمانين عاماً تقريباً طويت صفحة الرجل الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، لقد وضع بلاده على طريق الأمان، والقدرة على الردع ومواجهة الأخطار الباطشة الماحقة، وأسس لسياسة مؤثرة في المحيط الإقليمي والدولي، وجعل الآخرين يضعون في حسبانهم أن الباكستان ليست دولة مستباحة، أو يمكن أن تؤكل بغير مقابل!

عبدالقدير خان (1936 - 2021م) عالم باكستاني، حقق لبلاده على أرض الواقع حلماً كان بعيد المنال، عقب هزيمة مؤلمة قاسية تلقتها الباكستان من جارتها اللدود، في حرب دامية!

تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن خان تأثر بشدة بالأحداث في الوطن، خاصة هزيمة باكستان المهينة في حرب قصيرة مع الهند عام 1971م، وخسارتها لنصفها الشرقي (باكستان الشرقية) من خلال إنشاء دولة مستقلة جديدة هي بنغلاديش، وتفجير الهند لقنبلتها النووية في مايو 1974م.

كان تأثر خان بما جرى لبلاده دافعاً رئيساً ليفكر في وسيلة الردع التي توقف تحرش الأعداء وتصدهم عن مواصلة إذلال وطنه وشعبه؛ فجاء تفكيره بصنع الرادع النووي الذي يمنع المعتدين من استباحة بلاده، ويفرض عليهم التفكير جيداً قبل شن حرب شاملة مثل حرب عام 1971م القصيرة الخاطفة التي خلفت آثاراً خطيرة.

عايش خان محنة المسلمين في الهند أواخر الاحتلال البريطاني، وشهد المخاض الدامي لقيام دولة الباكستان واستقلالها عن الهند حماية لأرواح المسلمين الذين استباحهم التعصب الهندوسي، بتحريض من الغزاة البريطانيين؛ ما اضطر ملايين المسلمين إلى مغادرة منازلهم في الهند عام 1947م والعيش في الوطن الجديد (باكستان)، كان عدد سكان الهند آنذاك يناهز 400 مليون نسمة، غالبيتهم من الهندوس، وكان المسلمون يشكلون 25% تقريباً من مجموع سكان البلاد، وعلق مسؤول بريطاني عليم ببواطن الأمور حينذاك فقال: «جاء التقسيم والاستقلال معاً؛ فقد كان الواحد منهما ثمناً للآخر»، لقد قتل في العنف الطائفي نصف مليون إلى مليون شخص على الأقل، كما اختطف عشرات الآلاف من النساء.

وبعد خمس سنوات من التقسيم، هاجر خان إلى باكستان عام 1952م.

ولد خان في بوبال بالهند عام 1936م أيام الاحتلال البريطاني وقبل انفصال باكستان عن الهند، لا يصغره سوى أخت واحدة من بين خمسة من الإخوة واثنتين من الأخوات، وكان والده عبدالغفور خان مدرساً تقاعد عام 1935م، لذا نشأ الابن عبدالقدير تحت جناح أبيه المتفرغ لتربيته ورعايته.

وكانت زليخة بيجوم، والدة خان، سيدة تقية تلتزم بالصلوات الخمس ومتقنة للغة الأردية والفارسية؛ لذلك نشأ ابنها متديناً ملتزماً بصلواته.

تخرج خان في مدرسة الحامدية الثانوية في بوبال، ثم هاجر إلى باكستان عام 1952م كما سبقت الإشارة، بحثاً عن حياة أفضل، توفي والده في بوبال عام 1957م، حيث بقي هناك ولم يهاجر مع أبنائه إلى الوطن الجديد.

التحصيل العلمي

استكمل خان دراسته في كلية ديارام جيته للعلوم جامعة كراتشي عام 1960م،

لم يسلم في أثناء تنفيذ برنامجه من التربص به من جانب القوى المعادية لبلاده وللمسلمين عامة

في عام 1983م حكمت عليه محكمة أمستردام غيابياً بالسجن 4 سنوات بتهمة التجسس

وعمل مفتشاً للأوزان والقياسات، وهي وظيفة حكومية من الدرجة الثانية، استقال منها بعد ذلك.

سافر من جديد لزيادة التحصيل العلمي، فالتحق بجامعة برلين التقنية بألمانيا، وأتم دورة تدريبية لمدة عامين في علوم المعادن، كما نال الماجستير عام 1967م من جامعة دلفت التكنولوجية بهولندا، ودرجة الدكتوراه عام 1972م من جامعة لوفين البلجيكية.

لم يكن تـرْك د. خان لألمانيا وسفره إلى هولندا سعياً وراء العلم؛ بل كان بسبب رغبته الزواج بالآنسة هني الهولندية -ذات الأصل الأفريقي- التي قابلها قدراً في ألمانيا، وبالفعل تمت مراسم الزواج في أوائل الستينيات بالسفارة الباكستانية بهولندا، وقد حاول د. خان مراراً الرجوع إلى باكستان لكن دون جدوى؛ حيث تقدم لوظيفة بمصانع الحديد بكراتشي بعد نيله درجة الماجستير، لكن رُفض طلبه بسبب قلة خبرته العملية، وبسبب ذلك الرفض أكمل دراسة الدكتوراه في بلجيكا؛ ليتقدم مرة أخرى لعدة وظائف بباكستان، ولكن دون تسلم أي ردود لطلباته، في حين تقدمت إليه شركة «FDO» الهندسية الهولندية ليشغل لديها وظيفة كبير خبراء المعادن فوافق على العرض.

في ذلك الحين، كانت شركة «FDO» الهندسية على صلة وثيقة بمنظمة «اليورنكو» -أكبر منظمة بحثية أوروبية- المدعمة من أمريكا وألمانيا وهولندا، وكانت المنظمة مهتمة حينها بتخصيب اليورانيوم من خلال نظام الآلات النابذة (Centrifuge system)، وتعد التفاصيل التقنية المستخدمة لنظام الآلات النابذة سرية لأنها قد تستخدم في تطوير القنبلة النووية، وتعرض البرنامج لعدة مشكلات تتصل بسلوك المعدن، واستطاع د. خان بجهده وعلمه التغلب عليها، ومنحته هذه التجربة مع نظام الآلات النابذة خبرة قيمة كانت هي الأساس الذي بنى عليه برنامج باكستان النووي.

في عام 1974م، فجرت الهند قنبلتها النووية الأولى، بينما كان خان قد وصل إلى مستقبل مهني ممتاز بكونه واحداً من أكبر العلماء الذين عملوا في هذا المجال، وأيضاً كان له حق الامتياز في الدخول إلى أكثر المنشآت سرية في منظمة «اليورنكو»، وكذلك إلى الوثائق الخاصة بتكنولوجيا الآلات النابذة.

بدافع من عقيدته ووطنيته؛ كتب خان، في 17 سبتمبر 1974م، رسالة إلى رئيس الوزراء الباكستاني ذو الفقار علي بوتو، يعرض مساعدته في إعداد قنبلة ذرية، وكان بوتو قد أعلن بعد الهزيمة الثقيلة من الهند أن باكستان ستنتج القنبلة الذرية «ولو أكلنا العشب»!

في الرسالة عرض خان رأيه في طريقة الحصول على اليورانيوم من أجل صناعة القنبلة، باستخدام أجهزة الطرد المركزي للتخصيب، بوصفها أفضل من مسار البلوتونيوم الذي كان جارياً بالفعل في باكستان، ويعتمد على المفاعلات النووية وإعادة المعالجة.

وتتحدث دائرة المعارف البريطانية عن أن بوتو التقى بخان في ديسمبر 1974م، وشجعه على بذل كل ما في وسعه لمساعدة باكستان في الوصول إلى القنبلة.

وعلى مدار العام التالي، تمكن خان من الحصول على رسومات أجهزة الطرد المركزي، وقام بتجميع قائمة بالموردين الأوروبيين بشكل أساسي حتى يتمكن من شراء الأجزاء المكونة لها.

وفي 15 ديسمبر 1975م، عاد خان من هولندا إلى باكستان برفقة زوجته وابنتيه حاملاً نسخ مخططه وقائمة الموردين الخاصة به.

عمل خان في البداية مع هيئة الطاقة الذرية الباكستانية، لكن دبت خلافات مع رئيسها منير أحمد خان، وفي منتصف عام 1976م، وبتوجيه من بوتو، أسس خان مختبر الأبحاث الهندسية لغرض تطوير قدرة تخصيب اليورانيوم، وفي مايو 1981م، تم تغيير اسم المختبر إلى مختبر أبحاث خان، وكانت قاعدة عمليات خان في كاهوتا على بعد 50 كيلومتراً جنوب شرق إسلام آباد.

طوّر خان نماذج أولية لأجهزة الطرد المركزي بناء على التصميمات الألمانية، واستخدم قائمة الموردين الخاصة به لاستيراد المكونات الأساسية من الشركات السويسرية والهولندية والبريطانية والألمانية، من بين آخرين.

سلاح اليورانيوم

وفي أوائل الثمانينيات، حصلت باكستان من الصين على مخططات لسلاح نووي استخدم تصميم انفجار اليورانيوم الذي اختبره الصينيون بنجاح في عام 1966م، ويُعتقد أن الصينيين اختبروا تصميماً مشتقاً خاصاً للباكستانيين في 26 مايو 1990م.

بعد أن استوفى خان احتياجات باكستان من سلاح اليورانيوم، بدأ في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي إنشاء شركات (واجهة) في دبي وماليزيا وأماكن أخرى، ومن خلال هذه الكيانات قام ببيع أو تداول أجهزة الطرد المركزي والمكونات والتصميمات والخبرة بشكل سري، كما تشير دائرة المعارف البريطانية.

وكان من بين العملاء إيران التي استمرت في بناء مجمع لتخصيب اليورانيوم على أساس النموذج الباكستاني.

زار خان كوريا الشمالية 13 مرة على الأقل، ويشتبه في أنه نقل تكنولوجيا التخصيب إلى ذلك البلد، وقد طور مختبره أيضاً صاروخ «غوري» البالستي الباكستاني بمساعدة الكوريين الشماليين، كما كان خان مورداً لبرنامج ليبيا النووي الذي أوقفته الولايات المتحدة في عام 2003م.

وقد أصر د. خان، في أثناء عمله، على أن البرنامج ليس له أي غرض عسكري، ولكن بعد اختبارات عام 1998م اعترف قائلاً: «لم يكن لديَّ أي شك في أنني كنت أصنع قنبلة، كان علينا أن نفعل ذلك»، وتابع العمل على تجارب إطلاق ناجحة لصاروخ «غوري» الأول والثاني القادر على حمل رأس نووي.

لم يسلم د. خان في أثناء تنفيذ برنامجه من التربص به من جانب القوى المعادية لبلاده وللمسلمين عامة، وتسعى حثيثاً لإضعافهم

جهوده ساعدت في الحفاظ على مكانة باكستان بوصفها سابع قوة نووية بالعالم

قُبض عليه عام 2004م بتهمة نقل التكنولوجيا النووية إلى دول أخرى مثل ليبيا وإيران وكوريا الشمالية

www.mugtama.com

واستباحتهم؛ فتعرض للتحقيق في هولندا فترة وجوده في البلاد بتهمة نقل تكنولوجيا التخصيب، وفي عام 1983م حكمت عليه محكمة أمستردام غيابياً بالسجن لمدة 4 سنوات بتهمة محاولة التجسس، ثم تم إلغاء الحكم في وقت لاحق عند الاستئناف.

وبحلول عام 1998م، أجرت باكستان تجاربها النووية الأولى، ودخلت النادي النووي، وبعد فترة وجيزة من التجارب المماثلة التي أجرتها الهند، ساعدت جهود د. خان في الحفاظ على مكانة باكستان بوصفها سابع قوة نووية في العالم؛ ما أثار الابتهاج الوطني، وصار أيقونة لدى الشعب ترمز للبطولة والمجد، وتمتّع بلقب «أبو القنبلة النووية الباكستانية».

في الوقت ذاته، أثارت منشأة د. خان للأبحاث في كاهوتا الشكوك الأمريكية، ودفعت واشنطن لتفرض في عام 2003م عقوبات عليها بسبب نقلها المزعوم لتكنولوجيا الصواريخ من كوريا الشمالية.

وتم القبض على خان، في 31 يناير 2004م، بتهمة نقل التكنولوجيا النووية إلى دول أخرى (ليبيا وإيران وكوريا الشمالية)، ووُضع خان قيد الإقامة الجبرية حتى عام 2009م؛ حيث أصدر برويز مشرف، حاكم باكستان العسكري، عفواً عنه في اليوم التالي للقبض عليه بعد أن شهدت باكستان مظاهرات تطالب بإطلاق سراحه، ولكنه بقي رهن الإقامة الجبرية حتى أعيدت إليه الحرية كاملة.

كان خان حريصاً على إبعاد الدولة تماماً عن الأمر، وإبقائه متعلقاً به وحده، فظهر بعد القبض عليه في 4 فبراير، ليقرأ بياناً على «التلفزيون الباكستاني» يعلن فيه تحمل المسؤولية الكاملة عن عملياته، ويبرئ الجيش والحكومة من أي تورط، وهو ادعاء وجد كثير من الخبراء النوويين أنه من الصعب تصديقه، ووصف الرئيس الباكستاني السابق مشرف هذا الموقف بأنه أكثر اللحظات إحراجاً طوال رئاسته.

وقد تنافست الأحزاب الباكستانية في وعودها الانتخابية بالإفراج عن خان، وكان أحد الوعود الرئيسة التي أطلقها حزب الرابطة الإسلامية بقيادة رئيس الوزراء الباكستاني السابق نواز شريف، في عام 2008م، هو الإفراج عن العالم خان وإعادته إلى «مكانته المناسبة».

البعض اعتقد أن «شبكة خان» كانت تُدار كجزء من سياسة الحكومة الباكستانية من قبل ضباط كبار بالجيش

ومنذ إصدار العفو عنه، خرجت السلطات لتعلن أكثر من مرة للملأ أنها أجرت تحقيقات معمقة وفعالة بقضية خان، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن شبكته في باكستان قد جرى تفكيكها، كما أعلنت السلطات أيضاً أن اعتراف خان كان بمثابة عرض «قال فيه كل ما لديه»، ولم يعد هنالك من معلومات جديدة يمكن الكشف عنها بخصوص القضية.

البحث عن خان

بيد أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومحققين من قبل حكومات غربية واصلوا الطلب من السلطات الباكستانية لتمكنهم من الوصول إلى العالم خان بغية التحدث إليه، لكن لا الحكومة الباكستانية ولا د. خان قدما تفاصيل كاملة لمشروع الأخير في نشر الأسلحة النووية.

واعتقد مراقبون محليون ودوليون أن أعضاء بارزين من النخبة العسكرية والبيروقراطية في باكستان كانوا متورطين أيضاً بقضية وصول الأسلحة النووية إلى كوريا الشمالية وليبيا وإيران، حتى إن البعض اعتقد أن «شبكة عبدالقدير خان» كانت في الواقع تُدار كجزء من سياسة الحكومة، ومن قبل ضباط كبار في الجيش الباكستاني القوي، الذي كان دوماً بمثابة الراعي والحافظ لترسانة البلاد النووية وأسرارها.

كما اعتقد بعض المراقبين أن «شبكة خان» كانت جزءاً من وسيلة الجيش لتبادل التكنولوجيا النووية مع بلدان أخرى، وبات أمر إشراف الجيش على كل جزئية من البرنامج النووي في البلاد سراً مكشوفاً ومعروفاً في باكستان، ويعني هذا أنه لم يكن بالإمكان الإبقاء على شبكة د. خان طي الكتمان بدون علم ومعرفة ضباط الجيش الباكستاني، ويذكر أن صحيفة «الجارديان» البريطانية نقلت عن خان، في عام 2008م، قوله: «لم أفعل ذلك بمطلق حريتي.. لقد فُرض الأمر عليَّ».

ورفض خان الكشف عما إذا كان اتُّخذ كبش فداء لجنرالات باكستان المتورطين في التجارة النووية، وتشكك دبلوماسيون غربيون ومعلقون محليون وبعض الساسة في إمكانية عمل خان وحده، وقال خان: «لا أريد الحديث عن ذلك، هذه الأشياء يجب أن تنسى»، مضيفاً أنه لن يتعاون مع محققي الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة، وصرح خان لـ«الجارديان» بأن التكنولوجيا النووية التي بيعت لإيران وكوريا الشمالية كانت متاحة بحرية في الغرب، ونقلت الصحيفة عنه قوله: «كانوا مصدر إمداد لنا ومصدر إمداد لهم، ولكل من يستطيع أن يدفع».

وفي السنوات اللاحقة، أطلق د. خان حملة ضد الأمية، وأنشأ مؤسسات تعليمية في ميانوالي وكراتشي، وقال لموقع «ياسباكستان دوت كوم»: «أنا فخور بعملي لبلدي، لقد مَنح الباكستانيين شعوراً بالفخر والأمن وكان إنجازاً علمياً عظيماً».

وقد أعرب منتقدو خان، خاصة في الغرب، عن استيائهم مما أسموه المعاملة المتساهلة لرجل وصفه أحد المراقبين بأنه «أكبر ناشر نووي في كل العصور»، لكنه بالنسبة للباكستانيين يظل خان رمزاً للفخر، وبطلاً عززت إسهاماته الأمن القومي الباكستاني ضد الهند المتربصة ببلاده.

توفي د. عبدالقدير خان صباح الأحد 10 أكتوبر 2021م، بعد نقله إلى المستشفى جراء إصابته بفيروس «كورونا»، بعد أن نجح في تحويل بلاده إلى أول قوة نووية إسلامية في العالم، ووصفه رئيس وزراء الباكستان عمران خان بـ«الأيقونة الوطنية»، وأنه «كان محبوباً من أمتنا بسبب إسهاماته الحاسمة في جعلنا دولة نووية».

وكتب الرئيس الباكستاني عارف علوي على «تويتر»، معرباً عن «حزن عميق» لوفاة العالم الذي كان يعرفه منذ العام 1982م، وأضاف: لقد ساعدنا في تطوير رادع نووي حيوي لبقاء الأمة، والبلاد لن تنسى أبداً خدماته.

رحم الله عبدالقدير خان.■

مقال

واجبات المسلمين نحو خاتم المرسلين

الشيخ جاسم بن محمد الجابر
أستاذ الفقه، عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

نصرةً لنبينا عليه الصلاة والسلام نذكِّر ببعض حقوقه بإيجاز لتحافظ عليها أمته، ويتمسك بها أحبته، وأهمها:

1 – الإيمان به وبما جاء به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ (الحديد: 28)، والإيمان به يعني الإيمان بنبوته وبرسالته، والتصديق بما جاء به؛ إيماناً واعتقاداً جازماً، يترجم عنه اللسان، وتعمل به الجوارح والأركان، والعمل بسُنته وشريعته، والحرص على الاقتداء به واتباعه، فالإيمان يشمل الاعتقاد بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح.

2 – طاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور: 56)، وكما أن طاعته موصلة إلى رحمة الله تعالى، فإنها موصلة إلى الهداية كذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: 54)، بل جعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة له، فقال تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: 80).

3 – محبته التي لا يزاحمها محبة نفس ولا مال ولا ولد، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (متفق عليه)، ومن مقتضيات هذه المحبة أن نحب ما يحبه ونبغض ما يبغضه، فمن لوازم المحبة الصادقة إرضاء المحبوب، وإيثاره على كل مرغوب، وتقديمه في كل الأحوال.

4 – تعظيمه صلى الله عليه وسلم، وتوقيره وإجلاله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح)، والتعظيم مرتبة أعلى من مرتبة المحبة، والتوقير كما قال ابن تيمية: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار. أ.هـ.

فحقه تعظيمه حياً وميتاً، ويقتضي ذلك تعظيمه عند ذكر اسمه، أو سماع حديثه، أو قراءة سيرته، وتقتضي محبته توقير آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته.

5 – كثرة الصلاة عليه، وقد صلى عليه الله تعالى وملائكته، وأمر المؤمنين بها فقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: 56)، وفضل الصلاة عليه عظيم، ففي الحديث: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْراً» (رواه مسلم)، و«البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

6 – تحكيم شريعته وسُنته، والعمل بها في كل الأحوال والالتزام بها في كل المجالات، بكامل الرضا والتسليم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: 65)، وقد جعل الله تعالى مخالفة أمر نبيه من أسباب الفتن، وموجبات العذاب، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: 63)، ووصف تارك الحكم بشريعته بثلاثة أوصاف؛ الفسق والظلم والكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: 44)، ولم يصف الله تعالى في كتابه تارك عمل بالكفر إلا تارك الحكم بشرعه.

7 – نُصرته والدفاع عنه، قال سبحانه: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، فالتعزير كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: اسم جامع لنصره وتأييده، ومنعه من كل ما يؤذيه. أ.هـ، وعلى هذا بويع في العقبة، حيث قال: «تبَايعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ، وَالْكَسَلِ.. وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ، وَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ عَنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ»، فجعل جزاء نصرته والدفاع عنه الجنة، وأعظِم به من جزاء! ففضل نصرته والذب عنه عظيم، وطرقه ووسائله تتنوع وتختلف باختلاف الزمان والمكان والحال.

وقد أسفرت جهود الأمة وعلمائها في الآونة الأخيرة عن تأسيس الهيئة العالمية لنصرة النبي عليه الصلاة والسلام، وقد حضرتُ وشاركت أول مؤتمر لها في إسطنبول بدعوة من الأمين العام، العالم الجليل فضيلة الشيخ د. محمد الصغير، حفظه الله تعالى، وجزاه عن الأمة خير الجزاء وأوفاه، وقد حضر فيه كبار العلماء من شتى البقاع؛ نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم.

هذه بعض حقوق المصطفى عليه الصلاة والسلام، وفقنا الله تعالى للقيام بها ولأدائها، وجعلنا الله سبحانه ممن ينصر نبيه ويفديه بكل غالٍ ونفيس، والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً.■

مقال

د. عامر البو سلامة:
كاتب إسلامي

العمل الإسلامي والحاجة لتوريث الدعوة

إن قضية توريث الدعوة، وبناء جيل يحمل هَمَّ الأمة، وصناعة الوارثين المؤمنين بضرورة العمل لهذا الأمل الدائم، والهدف المنشود، والمقصد النبيل، من المسائل المهمة التي ينبغي على الإسلاميين العناية بها، مع جعلها في سلم الأولويات أثناء التخطيط ووضع البرامج، ورسم الإستراتيجيات؛ ذلك أن هذا الأمر هو التعبير الصادق عن حسن الفهم، وديمومة الغيرة، وبركة المضي، وعدم الانقطاع، وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، والانقطاع إشكالية من إشكاليات العمل إن وقع، وتترتب عليه جملة من المشكلات الأخرى على طريق الدعوة.

فالتفكير العميق، والتخطيط الدقيق، والشعور بالمسؤولية، والإحساس بثقل الأمانة، يستلزم بناء جيل يكون قادراً على المضي على طريق المشروع، وبهذا الجيل -قرة العين- تكون الطمأنينة إلى أن المشروع بخير؛ ذلك أن الله تعالى جعل هذا المنهج للبشر، وأمرهم أن يكونوا أدوات الفعل، مع عناية الله تعالى ورعايته، وتوفيقه وعونه؛ فالله يريد منا أن نأخذ بأسباب النصر، وقيم التمكين؛ فالنصر لا يكون للخاملين والكسالى والراقدين والمهملين والمتواكلين والمقصرين، بل يكون للعابدين العاملين؛ فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7).

النصر لا يكون للكسالى والراقدين والمهملين والمتواكلين والمقصرين بل يكون للعابدين العاملين

جيل الصحابة هو الذي حمل عبء الدعوة وهمّ العمل الإسلامي فكانوا منارات كبرى في خدمة هذا الدين

وهكذا في الشؤون كلها، وكم يفرح الأعداء بغفلة الصالحين، ويطربون لها، ويصفقون ويفرحون، بقدر ذلك يحزن غيرهم من الناشطين الفاعلين، ويتألمون من الذين يأخذون بأسباب القوة، وتجميع الشيب والشباب، من الذكور والإناث على مشروع الخير، من خلال عمل مؤسسي ناضج.

الجيل الرباني الفريد

وفي العودة إلى منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، نجد أن الله تعالى بعث رسولنا خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالحق المبين؛ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، ومربياً ومعلماً؛ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 151)، ورحمة للإنسانية كلها؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

وهذا الأمر الكبير ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل: 5)، كان لا بد له من جيل يحمله، ويعمل على تطبيقه؛ ليكون واقعاً عملياً، بهذه الثلة التي تحمل مبادئه وتعاليمه، وتلتزم به.

فعمل النبي صلى الله عليه وسلم على صناعة هذا الجيل «حامل المشروع»، حتى كان ذلك الجيل الرباني الفريد، جيل الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم أجمعين، وذلك من خلال أطوار متدرجة: الدعوة سراً، وما دار الأرقم بن أبي الأرقم وما فيها من معاني التكوين وبناء جيل العاملين للإسلام آناً ومستقبلاً إلا دليل على هذا، حتى صارت علناً، «فكان عامة الصحابة يخفون إسلامهم

وعبادتهم ودعوتهم واجتماعهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع مع المسلمين سراً؛ نظراً لصالحهم وصالح الإسلام، وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي على الصفا، وكانت بمعزل عن أعين الطغاة ومجالسهم، فكان أن اتخذها مركزاً لدعوته، ولاجتماعه بالمسلمين» (بتصرف يسير من «الرحيق المختوم»، ص 80).

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الفتح: 29).

هذا الجيل المتميز هو الذي حمل عبء الدعوة، وهَمَّ العمل الإسلامي، بجانب نبيهم ورسولهم، فهم الذين آمنوا وصدقوا، وآووا ونصروا، وضحوا وبذلوا، فكانوا منارات كبرى في خدمة هذا الدين، والجهاد من أجل نصرته، هم الذين صبروا وصابروا ورابطوا، وتحملوا المشاق الكبيرة، وثبتوا في مواجهة الباطل والطاغوت، هم الذين نقلوا القرآن الكريم لمن بعدهم، وهم العدول الذين بلَّغوا سُنة النبي صلى الله عليه وسلم لمن بعدهم، وهم الذين نشروا الدين في آفاق الدنيا، وقبور كثير منهم منتشرة في البلدان، برهان على هذا الذي ندندن حوله.

والصحابة الكرام، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، حملوا على عاتقهم حركة المضي على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسير على قدمه؛ فكانوا نعم من حمل هذه الأمانة وأدى حق الله تعالى فيها.

التابعون وتابعوهم

ومن جهود الصحابة المباركة ما خلَّفوه من جيل، حملوا عنهم معالم الدين، ونهضوا بتكاليف الدعوة؛ ليكون على درب الفلاح والنجاح، وتعاقب الأجيال (جيل التابعين ومن تبعهم من بعدهم)؛ فكان منهم أولئك الأعلام الذين حملوا عبء الأمانة، من أمثال الحسن البصري، وأويس بن عامر القرني، وسعيد ابن المسيب، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والليث، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجة.

وكان عمر بن عبدالعزيز والقادة العظام -وهم كثيرون- وهنا تبرز قيمة النظر العميق، في الاستجابة لمطالب فقه الساعة، وواجب الوقت، وفي ذات اللحظة كانت العناية بالنظر المستقبلي، من خلال استشراف المستقبل، بتقدير الحاجة لهذا الفقه في قابل الأيام، ونضرب على هذا مثلاً بالإمام أبي حنيفة، وكيف كان ينتقي حملة المشروع بدقة فائقة، ونظر سديد، ودافع عماده الغيرة على دين الله تعالى؛ فكان أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، والحسن بن زياد، وزفر، وغيرهم من الأئمة، حتى نشروا هذا العلم العظيم بمدرسة طارت علومها في آفاق الدنيا، بالجهد المخلص الذي بذلوه وأفرغوا فيه الوسع حتى تحقق المراد، وهكذا جيل بعد جيل، تحصل قضية التوريث للديمومة والاستمرار، وما شيوع السند وعلوم التحمل والإجازة إلا نوع من هذا الذي ندندن حوله.

وكم يؤلمني وأنا أقرأ قول من قال من أعلام هذه الأمة عن الإمام الليث: «الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به»؛ ذلك أن جهداً كبيراً ضاع في ثنايا الكسل والخمول، وفي هذا دلالة عميقة عن هذا الذي نتحدث عنه، ولما لم يكن أصحاب الليث لم يقوموا به، لم يصل إلينا مذهبه كاملاً، ويا لها من خسارة، والمسؤولية تقع على كاهل جميع من كان في دائرة أمانة المشروع (وفهمكم يكفي!).

وراثة الدعوة بعصرنا

وهكذا كان هذا الأمر في الأمة جيلاً بعد جيل، يضعف أحياناً، ويقوى في كثير من الأوقات، كل ذلك بحسب توافر عوامل النهوض المطلوبة من عدمها، والكلام في هذا يطول، وتكفينا في هذه العجالة الإشارة للمعنى.

وفي عصرنا الحاضر، كان الخير في هذا التوارث للدعوة والعمل الإسلامي، وقام من قام من هؤلاء الوارثين بهذا الواجب، والمضي في ركب هذه القافلة، من هنا نشعر بلزوم أن نعمل على التفكير الجاد في هذا الشأن، وحاجتنا لهذا الأمر اليوم أكثر من حاجتنا له من ذي قبل؛ إذ اليوم نرى الهجمة الشرسة على هذه الأمة وهويتها ودينها وثوابتها، اليوم نرى قسماً من المسلمين ليسوا على الطريق المطلوب رغم وجود الخير الكثير في الأمة، لكنها تعاني كثيراً من الهموم، وتحل بها جملة من المصائب، ومجموعة من الكوارث هنا وهناك، وهذا كله يحتاج إلى عمل جاد، وجهد منظم، وخطوات مدروسة قائمة على قيم الرشد، مع الاستفادة من كل البرامج المعاصرة، واستثمار كل ما هو نافع ومفيد من علوم اليوم.

فالإمام حسن البنا، رحمه الله تعالى، كان يعي ما يصنع، ويتفانى في مشروعه الرائد، ويفهم أهدافه بصورة متكاملة، ويدرك تمام الإدراك البرامج التي يسير عليها، والمرامي البعيدة التي يريد الوصول إليها، كانوا يقولون له: لِمَ لَمْ تؤلف الكتب؟ بل إن والده كان يتمنى على ولده أن ينشغل بتأليف الكتب، ظناً منهم أن تأليف الكتب هو السبيل الأمثل لخدمة الإسلام والدين والدعوة والأمة، ورغم أهمية تأليف الكتب وضرورته، فإن تأليف الكتب جزء من الهدف الذي ينبغي السعي له، وليس كله؛ لذا كان يجيبهم بنظرة أكثر عمقاً، وبحس مليء بالفهم الشمولي، وبنظر مقاصدي دقيق، بقوله: «أنا مشغول بتأليف الرجال الذين سوف يؤلفون الكتب».

واليوم على الإسلاميين أن يجعلوا على طاولة تخطيطهم هذا البند المهم في العمل على تكوين جيل قادم يحمل أمانة هذا المشروع الإسلامي، من خلال إعداد القادة، وفي كل المجالات، وضرورة صناعة العلماء الربانيين، ورفد العمل بأجيال جديدة، ودماء حيوية، نطمئن من خلال وجودها على أن الأمة بخير.■

حاجتنا اليوم لتوريث الدعوة أكثر من ذي قبل بسبب الهجمة الشرسة على الأمة وهويتها

على الإسلاميين تكوين جيل يحمل أمانة المشروع الإسلامي بإعداد القادة في كل المجالات

www.mugtama.com

مقال

«سوبر مان» يحاربك.. مع من سيقف أبناؤك؟

م. منال محمد الفيلكاوي
رئيسة الأمانة العامة للعمل النسائي بجمعية الإصلاح

مع من سيصطف أبناؤك إذا كانت شخصية «سوبر مان» طرفاً مقابل الإسلام والثوابت الإسلامية؟ سؤال صعب! لهذا السبب كان من الصعب علينا من البداية أن نتقبل أن تُسوّق إلينا شخصيات كرتونية كقدوات لأبنائنا يتعلقون بها ويحبونها ويقتنون كل المنتجات التي تعزز حبها في قلوبهم، السؤال المهم: من يمسك بخيوط صناعة هذه الشخصيات؟ من يوجه سلوكها؟ من يكتب السيناريو في نظرة هذه الشخصيات للخير والشر؟

لأنه، في النهاية، من يتحكم في هذه الشخصيات قد يستخدمها لضرب عقيدة طفلك، وهذا ما يحدث حالياً مع «سوبر مان» الابن الملقب بـ «سوبرمان الكرة الأرضية»، تخيل أن «سوبر مان» قرر أن يكون ثنائي الجنس (bisexual) وسيقع في حب أحد الصحفيين!

هذا ما أعلنته دار «DC comics» للنشر التابعة لشركة «Warner Brothers»، أنه في حلقة جديدة تصدر، أخيراً، سيجاهر البطل بثنائية ميوله الجنسية، وذلك بوقوعه في حب رجل آخر، سيجاهر البطل بشذوذه عن الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وعلى طفلك أن يتقبل ذلك، يجب أن يتقبل ذلك لأنه فعل جاء من شخصية محترمة لديه ومحبوبة مثل «سوبر مان»، كيف ستواجه تربوياً هذا الموقف؟

دعني أقترح عليك شيئاً قد ينقذ الموقف إن كنت أباً أو أماً أو مربياً أو مسؤولاً عن أطفال يحبون شخصية «سوبر مان»، لا تنتظر حتى تقع في مثل هذا الموقف أو غيره من المواقف التي ستجد نفسك فيها محاصراً بمحاولات العالم تسويق الشذوذ والمثلية عليك وعلى أبنائك، الوقاية خيرٌ من العلاج، فما الوقاية الممكنة؟

تكمن البداية، بحسب رأيي، في القيام بدورك كولي أمر تجاه توضيح بعض الأمور الجنسية المهمة للطفل منذ سنواته الأولى بالاستعانة بالمختصين، وإن كنت أعلم أن قلة قليلة فقط من المختصين تكلموا أو كتبوا في مجال التربية الجنسية للأطفال، فإن كنت تبحث عن مصدر لمساعدتك في تقديم المعرفة الجنسية السليمة للطفل قبل أن يتعرض لمواقف تسوق له الشذوذ والمثلية، فلن تجد مرجعاً عربياً في التربية الجنسية للأطفال أفضل من كتاب د. هبة حريري بعنوان «كيف تتحدث عن كل ما يخص الجنس مع الأبناء؟»، وهي بالمناسبة سعودية الجنسية، أكاديمية ومعالجة نفسية، ولها قناة «بودكاست»، وقناة في «يوتيوب»، تتناول فيهما مواضيع نفسية وتربوية مهمة جداً.

وفي كتابها، طرحت المعرفة الجنسية اللازم إيصالها للأطفال بشكل متدرج ومناسب لعمر الطفل واستعداده النفسي، فتبدأ بقصة سيدنا نوح عليه السلام حين أمره الله تعالى بأن يحمل من كل زوجين اثنين؛ فيتعلم الطفل أن الكائنات تعيش في مجتمعاتها مقسمة إلى ذكر وأنثى، والله خلقهم هكذا للمحافظة على النوع وحتى تتكاثر الكائنات، إن مثل هذه المعرفة الأولية مهمة جداً لحماية الطفل من الانحراف في الفهم لاحقاً.

بعد أن تقوم بدورك في إيصال المعرفة الجنسية السليمة للطفل بالطريقة المناسبة للمرحلة العمرية التي يمر بها، لا ينبغي لك أن تمرر هذه المحاولات لضرب فطرة الإنسان والعودة بنا إلى أفعال قوم سيدنا لوط عليه السلام دون تعليق أو احتجاج أو إنكار، بحجة الانفتاح وتقبل الآخر، أو بحجة أن هذا مخطط عالمي ولا حيلة لي في تغيير الواقع، فليكن لك دور حتى في التجمعات العائلية أو تجمعات الأصدقاء، فلربما يحتار كثير منهم في كيفية مواجهة مثل هذه الموجة التي تسوق الشذوذ بشكل علني.

إن الله عز وجل هو الذي جعل عاليها سافلها على رأس قوم لوط بما كسبت أيديهم، فهل تستغربون أن يطالنا العذاب حين نقبل بالسكوت عن فعل شنيع مثل تحريف الفطرة ونشر الشذوذ بين أبنائنا ونحن بكل بساطة نبرر أننا لا نملك من الأمر شيئاً، وأنها حبكة عالمية، وأنها قوة أكبر منا، أكبر من أن نصدح بقيمنا وثوابتنا، أكبر من أن يُسمح لنا أن نجرّم الجريمة الأخلاقية؟ فأين هي «الله أكبر» التي ترددها في صلواتك؟ أين هي «الله أكبر» التي تصدح بها المآذن خمس مرات في اليوم؟

الله أكبر من كل مخططاتهم نعم، ونحن لا نقبل تشويه فطرة أبنائنا ولن نسكت على ترويج الشذوذ والفاحشة، نبدأ من البيت ونرفع أصواتنا برفض الشذوذ في مجتمعنا المسلم، فهو انقلاب على فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها.

كما تقع مسؤولية كبيرة على المربين في المدارس والأندية ومراكز الأطفال لدعم دور الوالدين في المنزل ومساعدة الجيل الناشئ على التمسك بثوابته ودينه وفطرته؛ لأن الثمن الذي سيدفعه المجتمع من انتشار مثل هذا الشذوذ باهظ جداً، وسيخرج لنا جيل منزوع الهوية لا يستطيع أن يجابه التحديات العالمية، ومهما كانت وظيفتك ودورك في المجتمع لن تعدم الوسيلة لمحاربة هذه الموجة الهادرة، فكل من منبره، قادر على وضع لبنة في حائط السد الذي سيقف في وجه استهداف ثوابتنا وتشويه فطرة الناس.

لقد كرمنا الله تعالى بهذا الدين العظيم الذي يقدم الأجوبة الشافية لكل التساؤلات، فأظهر جمال هذا الدين لأبنائك، أخبرهم أن حياتهم مع الله سبحانه أجمل؛ لأنها توازن بين حاجات الروح والعقل والجسد، وأن خالق الإنسان هو الأعلم بحاجاته، وهو الوحيد القادر على توجيه حياته بالاتجاه الصحيح، لذلك لا ضير في أن تسأل ولا مشكلة في أن تتساءل، لكن ابحث أولاً في المصدر الأعظم للمعرفة، كتاب الله تعالى وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ودمتم في رعاية الرحمن الرحيم.■

بقية المنشور ص 66

www.mugtama.com

سُبل تفعيل مبدأ الشورى في الشعوب الإسلامية

فطبيعةُ الحكم في الإسلام أنه يرفضُ أن يعطيَ طابعَ الشخصية للمؤسَسة الحاكمة، فهي مؤسسةٌ لا شخصنةَ لها، وهذا يساعدُ على محاسبة الحكام والحكومة والنظام بأسره، إذا كان هناك خروجٌ عن الشرع، وعن الدستور المتفق عليه، بل لا بدّ أن يكونَ هناك إحساسٌ بخطر المسؤولية الملقاة على عاتق الحاكم أو الحكومة، ولعلّ قولَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو ماتت شاةٌ على شاطئ الفرات ضائعةً، لظننتُ الله عزّ وجلّ سائلني عنها يومَ القيامة» ما يوضح ذلك.

الحكم الإسلامي مدني لا عسكري:

لقد جسّد الخلفاءُ الراشدون رضي الله عنهم مدى مدنية الحكم في الإسلام، وأنّ العسكر ما هم إلا موضع خدمة للشعب والأمة والسلطة الشرعية، وليس من الصحيح أنّ قائدَ الجيش بقوته وسلطانه يمكنُ أن يكونَ رئيساً للدولة عَبْرَ قوّة السلاح.

وفي قصة عزل عمر بن الخطاب للقائد العسكري الكبير للمسلمين خالد بن الوليد ما يدل على ما ذهبتُ إليه.

الاستجابة لمتطلبات الشعوب

كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأرض السواد من العراق والشام، حيثُ جعلها أراضيَ خراج، فجعل عليها إيراد الأرض التي افتتحها المسلمون عنوة، فأوقفها لمصالح المسلمين على الدوام، فعندما قويت شوكة الإسلام بالفتوحات العظيمة وبالذات بعد القضاء على القوتين العظيمتين الفرس والروم، وتعددت موارد المال في الدولة الإسلامية، وكثرت مصارفه، وللمحافظة على كيان هذه الدولة المترامية الأطراف، وصون عزها وسلطانها، وضمان مصالح العامة والخاصة، كان لا بد من سياسة مالية حكيمة ورشيدة فكر لها عمر رضي الله عنه، ألا وهي إيجادُ مورد مالي ثابت ودائم للقيام بهذه المهام، وهذا المورد هو الخراج، فقد أرادَ الفاتحون أن تقسّم عليهم الغنائم من أموال وأراض.

وقام عمرُ رضي الله عنه بحوار شوري موسع مع كبار الصحابة ظهر فيه أسلوبه في الجدل، وجمع فيه بين قوة الدليل وروعة البيان واستمالة المخالف، وانتهى الأمرُ بكبار الصحابة ورجال الحل والعقد إلى إقرار رأي الخليفة رضي الله عنه بتحبيس الأرض على أهلها، وتقسيم الأموال المنقولة على الفاتحين.

وفي هذا نظرٌ عميق إلى التطبيق العملي لروح الشريعة ومقاصدها العظيمة، ومراعاة المتغيرات الكبيرة التي تحدث على الحياة بمختلف مجالاتها، أي إنّ النظر الإصلاحي يجبُ أن يصحبَ الحاكم وأعضاءَ مجلسه الشوري، الذين هم في الحقيقة مستودعٌ للأفكار في دعم وإسناد الحاكم في نظرته لتطبيقات روح الدستور، وفعاليته في المجتمع والدولة. (الشورى، د. الصلاحات، ص 383).

الحرص على حرية البحث العلمي:

البحث العلمي لا ينمو في ظل أنظمة دكتاتورية لا تؤمن بالشورى، وما حدث في أوروبا من تعسف وقتل للعلماء فيما يسمّى بالصراع ما بين العلم والكنيسة، والذي نتجَ عنه ما يسمى بالعلمانية خيرُ دليل على ما ذهبنا إليه قول الكواكبي: ليس من غرض المستبدّ أن تتنوّرَ الرعيةُ بالعلم، ولأنّ للعلم سلطاناً أقوى من كلّ سلطان، لذا فإنّ بين الاستبداد والعلم حرباً دائمةً، وطراداً مستمراً.

مواجهة التحديات الحضارية:

إنّ حقيقةَ الأنظمة المستبدّة أنها أنظمةٌ غيرُ شجاعة، ولا تقدر على مواجهة التحديات الحضارية، وأنّ الاحتلال الخارجي لن يكون منقذاً للشعوب أو داعماً لمنهج الشورى، ولقد أثبتَ التاريخُ في أكثر من حادثة وواقعة أنّ المستجير من ظلم الحاكم بالمستعمر الخارجي كالمستجير من الرمضاء بالنار، والاستبدادُ لا ينتمي إلى الإسلام البتة، بل إنّه نقيض الشورى حتماً، وهو فيه من الصفات والأوصاف ما يعكس خلافَ الشورى في كل صغيرة وكبيرة، وعلى حدّ توصيف الكواكبي له، يقول: إذا أراد الاستبدادُ أن يحتسبَ وينتسبَ، لقال: أنا الشرُ، وأبي الظلمُ، وأمي الإساءةُ، وأخي الغدرُ، وأختي المسكنةُ، وعمي الضررُ، وخالي الذلُ، وابني الفقرُ، وبنتي البطالةُ، ووطني الخرابُ، وعشيرتي الجهالةُ. (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 71).

إن تقدُمَ الشعوب وقدرتَها على مواجهة التحديات الحضارية يعتمدان على نشر العدل، وإعطاء الحقوق السياسية لأفرادها وجماعاتها، بكافة أنواع الحقوق الفردية والجماعية، ولقد عاشت أمتُنا الإسلاميةُ في أوج حضارتها وتقدمها، عندما كانت تحافظ على هذه الحقوق، وتعطي كلّ ذي حق حقه، وَهَوَت وسقطت، لما تجاوزتْ تلك الحقوق (الشورى، د. الصلاحات، ص 389)، فعلى سبيل المثال؛ جاء عصرُ صلاح الدين، الفاتحُ العظيم للقدس ومحررها بعد عصور من الذلة والهوان، والقهر السياسي بين المسلمين وحكامهم، وقبله نور الدين الذي يقول ابن الأثير عن عصره: قد طالعتُ تواريخَ الملوك المتقدّمين من قبل الإسلام ومنه إلى يومنا هذا، فلم أرَ فيه بعدَ الخلفاء الراشدين، وعمرَ بن عبد العزيز ملكاً أحسنَ سيرةً من الملك العادل نور الدين، ولا أكثرَ تحرّياً للعدل والإنصاف منه، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشرُه، وجهاد يتجهّز له، ومظلمة يزيلُها، وعبادة يقوم بها، وإحسان يوليه، وإنعام يسديه، فلو كان في أمة لافتخرتْ به، فكيف بِبيت واحد.

فقد قام الملك العادل نور الدين، والملك الناصر صلاح الدين، والشعوب التي التفت حولهما بمواجهة التحديات الحضارية، ومن أراد التوسع فليراجع كتابيّ عن نور الدين محمود، وعن صلاح الدين الأيوبي، ففيهما تفاصيل مهمة عن نهضة الأمة، ومقاومتها للمشاريع الغازية.■

المصدر الرئيس

1 - الشورى فريضة إسلامية، د. علي محمد الصلابي، ص 183-187.

حاولتُ علاجه نفسياً ففهم اهتمامي به خطأ..

هل أنا مسؤولة عن غباء الآخرين في إدراك تصرفاتي؟!

د. يحيى عثمان

استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء الكويتي سابقاً
y3thman1@hotmail.com

أستاذي الفاضل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا سيدة في منتصف العقد الرابع من عمري، متزوجة ورزقنا الله بثلاثة أولاد، والحمد لله أمورنا طيبة.

أعمل مديرة بإحدى الشركات، مهتمة بعلم النفس وأنماط الشخصية وعلاج ما بعد الصدمة، لكنني مجرد قارئة في هذا المجال.

لكن لعل نشأتي كانت سبباً في الكارثة التي حلت بي، فقد درست بالمدارس الأجنبية المختلطة، الوالدان يؤديان الفروض، ولكن أمي متبرجة، وعلاقتنا الاجتماعية منفتحة، وهكذا نشأت في بيت يفصل بين أداء الفروض وسلوك المسلم كما يجب أن يكون، أو بمعنى أدق بعد ما ألمت بي مصيبتي فاقتنعت بخطئي.

انتظمت بالصلاة بالجامعة بسبب إحدى الزميلات الفاضلات، التي نصحتني أكثر من مرة بأن أحرص على ضبط علاقاتي مع الزملاء، لأن أسلوبي يعطي انطباعاً سلبياً عني؛ ما قد يدفع الشباب إلى فهمي خطأ.

حقيقة لم أقتنع وقلت: إنها متزمتة، والله يعلم أني أصلي ولا أفعل الخطأ، لكن مجرد كلام فقط، حتى ولو كان به بعض الإيحاءات غير المؤدبة فإنني محافظة على شعور الزميل وأبتسم دون رد.

لم يتغير سلوكي في التعامل مع الجنس الآخر بعد زواجي، لكن بدأت المصيبة منذ حوالي خمسة أشهر، عنما انتقل للإدارة التي أرأسها زميل منغلق على نفسه، قدراته المهنية محدودة، وهذا سبب نقله عندنا وتعتبر آخر فرصة له، كلفت موظفة بتدريبه، لكنها اعتذرت لعدم رغبته في التعامل معها، همس أحدهم في أذني أن الموظف الجديد يمر بأزمة نفسية وأنه طلق زوجته بسبب انحرافها، فأوكلت المهمة لأحد الزملاء، لكنه أيضاً عاد ليخبرني بفشله في التعامل معه لأنه فظ.

وجدت هذا الزميل فرصة عمري، لأمارس عليه ما تعلمته، وكانت تدفعني طاقة التحدي، متناسية منصبي كمديرة.

كانت خطتي أن أحصل على ثقته، فأرسلت له رسالة على تليفونه تطمئنه، وأنني قد أرسلت فعلاً ما يفيد أنه مقبول بالإدارة، مع تحية رقيقة، كم كانت فرحتي وزهوي بذاتي عندما أخبرني السكرتير بأنه يطلب مقابلتي، فسمحت له، تمتم بعبارات مقتضبة معبراً عن شكره وامتنانه لي، وأسرع بالانصراف، فناديته باسمه: اجلس أريد التحدث معك، جلس فبادرته قائلة: «إن الإدارة العليا تريد مني تقريراً خاصاً، وترغب ألا يطلع عليه أحد، وأريد منك أن تساعدني في الانتهاء من هذا التقرير»، أومأ برأسه، فبادرته: عليك أن تقرأ تقرير العام الماضي وتجمع هذه البيانات، وموعدنا يومياً الساعة الواحدة ظهراً، وأوصلته إلى الباب.

بذلك، بدأت المرحلة الثانية وهي انخراطه في العمل، وشيئاً فشيئاً ينسلخ من

www.mugtama.com

الدين منظومة شاملة من القول والاعتقاد والعمل ولا يتم الإيمان إلا بمجموع الثلاثة

المحافظة على قدر من التكلف بين الجنسين في العمل يحفظ بينهما المساحة النفسية الآمنة

ما معنى أن تقابل زميلة ثناء زميلها على زيِّها أو تسريحتها بابتسامة؟!

مشكلته ويتعافى من صدمته.

انتظم في العمل معي، وأبدى مهارات فنية عالية، كنت حريصة على الحفاوة به، وبدأت الحواجز الإدارية تذوب بيننا، وكنت أحكي لزوجي حجم التقدم الذي أحرزه معه، في بداية جلسات عملنا كنت قليلاً ما أسأله عن أحواله، ولكن بعد حوالي شهر من بدء جلساتنا أصبحت فقرة تفقد أحواله تشغل معظم وقت الجلسة، ولكنني لاحظت أن مظهره أصبح أفضل، ولم أستغرب اهتمامه بي وإبداء إعجابه بلباسي وتسريحة شعري؛ لأن من واقع دراستي لجلسات العلاج النفسي، أعلم مدى ارتباط المريض بمعالجه، وأدرك أن لديَّ الثقة في ضبط توجه مشاعره، واعتبرت ذلك مؤشراً إيجابياً لنجاحي، وأنه يثق بي، وأن عليَّ في الخطوة القادمة الخوض في الأزمة التي مر بها حتى أتمكن من الأخذ بيده لحياة نفسية سوية.

حكى لي عن صدمته في زوجته، وعدلت نظرته في النساء وأنه يمكن أن يجد من تحبه وتكون عوناً له في محنته، فوجئت أنه أودع صورة وردة مع إهداء رقيق في التقرير الذي يعرضه عليَّ، شكرته، وحرصت ألا أظهر أي رد سلبي حتى لا تنتكس علاقتنا، ولا أبدي تفاعلاً حتى لا يفهم علاقتي به خطأ، وفي نهاية اليوم أمسك يديَّ وهو يسلم عليَّ قبل أن ينصرف، لكنني بكل لباقة سحبت يدي وانصرفنا معاً وكأن الأمر عفوياً.

عدت وأنا تنتابني مشاعر مضطربة، أشعر بالزهو في نجاحي في علاجي كأول حالة أتولاها، وهل حان الوقت أن أستقيل وأتفرغ لممارسة المهنة التي حلمت بها! ولكنني احترت في أمر هذا الموظف؟ هل تصرفاته طبيعية نتيجة إحساسه بالامتنان لي؟ أم.. أم ماذا؟ وطردت هذه الأفكار السلبية، وأنني أعامله بسجيتي الطبيعية، وهذه تصرفاتي مع الجميع منذ صغري.

في صباح اليوم التالي، اتصلت بي إحدى زميلاتي بالعمل، وطلبت زيارتي بالمكتب، وفوجئت أنها تشيد بي وبثقتها بأخلاقي، ولكنَّ هناك همساً بالشركة عن تواجد الموظف الجديد كثيراً بمكتبي، وأنه يشيع أنكما ستتزوجان بعد طلاقك! فثرت عليها وطردتها من مكتبي.

قررت أن أسرع بعلاج الموقف، فوقفت في الصالة التي بها مكاتب موظفي الإدارة وناديت عليه وأن أصرخ وقد تجمع كل الموظفين: «ما هذا الهراء الذي تشيعه؟ هل جزاء عطفي عليك و.. فقاطعني: أكنت تضحكين عليَّ وتتلاعبين بمشاعري؟ كيف أفهم اهتمامك بي وجلوسنا يومياً منفردين بحجة العمل، واستفسارك عن أحوالي وخصوصياتي بكل اهتمام وشغف؟ مديرة حضرتك ولا دكتورة ولا معجبة؟ كيف أفهم ابتسامتك للوردة التي أهديتها وعبارات الإعجاب بك؟ هل هذه من علاقات العمل؟ وهل وهل.. أبعد كل ذلك تتهمينني أنني أشيع عنك؟ ماذا حدث لك حتى تتراجعي عن حبك لي؟ وإن كنت لم تحبيني؛ فلماذا أوهمتني وتتلاعبين الآن بمشاعري؟».

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أنطلق مهرولة نحو الشارع لأستقل سيارة أجرة لأنني لن أستطيع قيادة سيارتي، ارتميت على سريري وكلماته بل خناجره تمزقني، وتذكرت كلمات صديقتي بالجامعة أن «أحرص على أن أضبط علاقاتي مع الزملاء؛ لأن أسلوبي يعطي انطباعاً سلبياً عني؛ ما قد يدفع الشباب إلى فهمي خطأ».

هل أنا مسؤولة عن غباء الآخرين في فهمي؟ ألا يكفيني أنني لا أفعل الخطأ؟ هل جزائي أني أحترم الآخر وأعامله بود أن يسيء فهمي؟ أليس المهم الجوهر؟

التعليق:

يقول الله عز وجل: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب: 32)، نساء النبي أمهات المؤمنين يوجه لهن وللمؤمنات من بعدهن ألا يخضعن بالقول، حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، ومن هم؟ هم الصحابة رضوان الله عليهم.

إن الدين منظومة شاملة ومتكاملة من القول والاعتقاد والعمل لا يتم الإيمان إلا بمجموع الثلاثة دل على ذلك كتاب الله تعالى، وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يلتزم بضوابط الاختلاط الشرعية، وأن يكون حذراً في كل كلمة يسمعها أو يقولها؛ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18)، كما يجب ألا نحمل العلاقات أكثر مما تحتمل؛ فالعلاقات بين الزملاء والزميلات في حدود مقتضيات العمل (والعمل فقط)؛ لأن التطرق إلى الموضوعات الخاصة قد يؤدي إلى الارتباط النفسي!

إن المحافظة على قدر من التكلف بين الجنسين في العمل يحفظ بينهما المساحة النفسية الآمنة، فلا يتعداها من في قلبه مرض؛ لذا يجب التفريق بين الاحترام والتقدير وإلقاء ورد السلام، وهذا مطلوب لعلاقات العمل، وفي المقابل الود والاهتمام والتطرق إلى الخصوصيات وهذا من نوازغ الشيطان بين الزملاء والزميلات.

ما معنى أن تقابل زميلة ثناء زميلها على زيِّها أو تسريحتها بابتسامة؟! كيف يمكن تعليل رد فعل السائلة بأن مرؤوسها أمسك يدها، فكان رد فعلها أن سحبت يدها بكل لباقة وانصرفا معاً وكأن الأمر عفوي؟!

لعل ما مررت به درس عملي في ضوابط سلوك المسلمة مع زملائها، وأرى ضرورة انتقالك من مكان العمل وبداية صفحة جديدة بالضوابط الشرعية، ولعل تجربتك تكون درساً عملياً على كيف تضبط المسلمة علاقتها وكل تعاملاتها مع الرجال.■

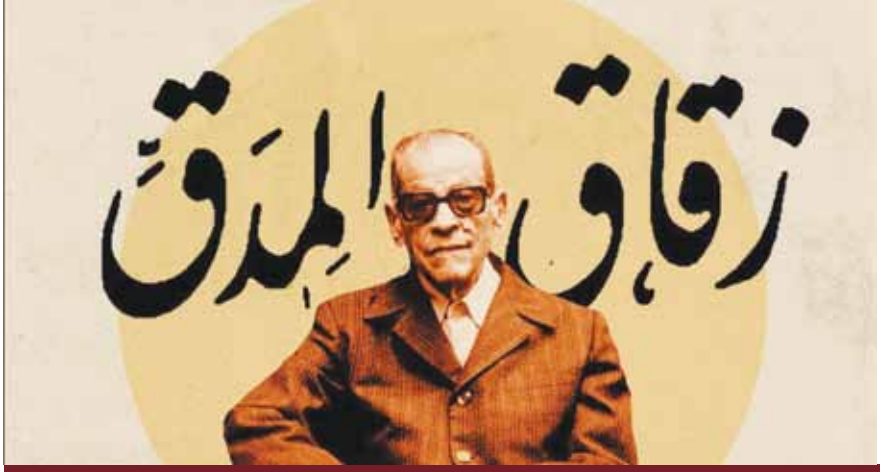

«زقاق المدق».. رؤية إسلامية

طلال مساعد العامر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

كنت قد اطلعت على بعض أعمال نجيب محفوظ وعلى بعض ما كتب عنه، لكن قراءتي لرواية «زقاق المدق» تعد أول قراءة لي لنجيب محفوظ بعناية، وهي رواية حقيقية في صلب العمل الروائي، اكتملت فيها أركان الرواية وتمت فيها عناصر الإبداع، وكان من جملة ما شدني فيها من محاسن الإجادة:

أولاً: البناء الروائي المحكم الذي تراءى لي وكأنه بناء هندسي متقن مرصع بالفسيفساء المرصوفة بإحكام.

ثانياً: اللغة البليغة التي امتزجت فيها وشائج من جمال الأسلوب وتمكن المفردة وروعة التعبير ولطف الإشارة، حتى لكأن التعبير هو الأمثل في كل مشهد من مشاهد الرواية.

تمثلت الرواية لي خصوصاً في رسم الشخصيات وانفعالاتها وكأنها صفحات في علم النفس وتحليل الشخصيات، ظهر ذلك بإبداع في وصف الكاتب للمشاعر المضطربة عند شخصية حميدة؛ كيف تسلل الأديب إلى جوانحها ثم عمد إلى صفحاته بتعبير غض واصفاً مشاعرها حينما حدق فيها فرج إبراهيم لأول مرة، وهي متدلهة (متحيرة) بين حنق حيال ابتسامته الماكرة، وما حركه فيها من كوامن الغريزة.

ووجدت أيضاً أن هذه الرواية تمثل الأدب الواقعي بامتياز، وربما ألقت قراءة محفوظ للأدب الوجودي بظلالها على قريحته، بالإضافة إلى أنه كان في عصر ثابَتْ فيه الرواية إلى عالم الواقع، بعد أن اشتطت حيناً من الدهر وراء الرومانسية المجنحة في الخيال الهاربة من جحيم الواقع.

مؤشرات الواقعية

وقد ترك محفوظ الشخصيات تندفع وتسترسل على سجيتها مواجهة مصائرها، مستسلمة لواقعها، تقودها إليها جبرية صماء، لا تملك حيالها أمراً، ويؤشر على هذه الواقعية عدة مؤشرات، أهمها:

أولاً: نزعة مادية تظهر لدى عموم شخصيات الرواية، تحكم علاقاتها وتتسيد على تطلعاتها؛ فلما جاءت أم حميدة حاثة ست «سنية» على الزواج، قالت ست سنية: «جزاؤك لن يقدر بمال»، قالت أم حميدة في سرها: «ينبغي أن يقدر بمال وبمال كثير.. هلم إلى صندوق التوفير وأعطني»، وأيضاً تظهر هذه النزعة عند حميدة التي كان بريق المال هو قائدها إلى ما آلت إليه، وهي التي جعلت زيطة، والبوشي، ينتهكان حرمة الأموات، وطمع الأبناء في والدهم سليم علوان وجفاؤه للناس وتغيره عليهم لذات السبب، بالإضافة إلى النظرة الجنسية التي تهيمن على الرجل في نظره للمرأة التي سود فيها الأديب صفحات يلتهب فيها السعار الجنسي.

ثانياً: علاقات يسودها الكره ويستبد بها الحنق، فمثلاً يقول على لسان زيطة: «لكن السواد مصير كل شيء في هذه الخرابة»، ويقول بعضهم حول صينية الفريك التي يأكلها السيد علوان: «يطفحها سُمّاً بإذن الله»، وعلاقة حسين محمد كرشة بأبيه متوترة والغرامة تضرب زوجها دائماً على مرأى من أهل الزقاق، والمعلم كرشة في شجار دائم مع زوجته، وقول زيطة: «لا فائدة ترجى من الأحياء وقليل من الموتى ذو نفع».

ثالثاً: التسليم للقضاء والقدر والجبرية الذي يعتبر عقيدة لازمة لشخصيته على امتداد الرواية التي استسلم لها شخصيات الرواية، فالمعلم كرشة يقول للشيخ رضوان في أمر علاقته بالشاب: «كلا يا سي السيد أضرع إليك أن تدع هذا الأمر حتى يأمر الله بالهداية»، وحسن كرشة تتحطم آماله على إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة هتلر فقال: «أليس من المحزن ألا نتذوق شيئاً من السعادة إلا إذا تطاحن العالم كله في حرب دامية فلا يرحمنا في هذه الدنيا إلا الشيطان».

حميدة تقول لعباس في سبب احترافها البغاء: «لا تسألني عن شيء فليس عندي ما أقوله وهذا قضاء الله الذي لا يرد»، وهذه الروح الجبرية السارية في أوصال الرواية تكاد تنتظم سائر أعمال نجيب محفوظ الروائية؛ ففي روايته «بداية ونهاية» تنتهي بطلة الرواية إلى احتراف البغاء كنتيجة حتمية لمقدمات جبرية، وعندما يكتشف ذلك أخوها الضابط لا تجد بداً من إلقاء نفسها في نهر النيل على مرأى من عينيه، ثم يتبعها هو الآخر بالانتحار قائلاً: «فليرحمنا الله؛ فهو تعالى الذي قدر عليهم ذلك».

وهو ما يبدو سمة بارزة في أعمال جل

الرواية تميزت في رسم الشخصيات وانفعالاتها وكأنها صفحات في علم النفس وتحليل السمات الشخصية

محفوظ ترك الشخصيات تندفع على سجيتها مواجهة مصائرها مستسلمة لواقعها

الروائيين العرب آنذاك، وهو الجيل الذي تلقى هزائم متتالية في ميادين حروب الاحتلال، بعد أن طحنتهم حروب فكرية ضروس أوهت العزائم وتسربت إلى الثوابت، بالإضافة إلى الافتتان بقيم الحداثة والتطور العلمي والتكنولوجي، الذي جاء مصحوباً بالهيمنة الغربية، تجد ذلك واضحاً عند طه حسين في «الأيام»، و«مستقبل الثقافة»، وتوفيق الحكيم في قصته «الشهيد»، وروايته «أهل الكهف»، ويوسف السباعي في معظم رواياته.

ما تقدم، في تصوري، هو ما يجعل العمل الروائي أكثر خطراً من بين ألوان الكتابة الإبداعية والفكرية بل وأدل على عبقرية الكاتب، حيث يستطيع أن يمرر حزمة من قناعاته وتصوراته عبر شخصيات عمله الإبداعي، والنقاد يلهثون خلفه في خلاف دائب عاجزين عن الظفر بإدانة حيال ما تفصح به شخصيات عمله الروائي من آراء أو توجهات.

مما هو جدير بالذكر في رواية «زقاق المدق» مركزية الجانب الديني فيها، الذي يلوح فيها حين يلوح؛ فيسبغ السكينة والطمأنينة على توتر العلاقات والمواقف والأحداث؛ فقد وجدت صورته تبدو كمنظر السيد رضوان الحسيني الذي تتعلق به الأنظار في إجلال ومودة، الذي يرد الناس عليه التحية بأحسن منها، طلعته مهيبة يشع النور من غرة جبينه وتقطر صفحته بهاء وسماحة وإيماناً.. «يشعّ النّور من غرّة جبينه، وتقطر صفحته بهاء وسماحة وإيماناً، سار متمهّلاً، خافض الرأس، وعلى شفتيه ابتسامة تشي بحبّه للنّاس وللدنيا جميعاً».. في مثل هذه الصورة يصفه محفوظ؛ حيث إنه كان عنصر التهدئة لما يعتري الناس من كرب؛ فهو ملجؤهم حيث تدلهم بهم الخطوب وتضيق بهم الدروب، يجدون عنده بسمة الأمل ويد الحاني وإرشاد المحبة هكذا وجدته زوجة المعلم كرشة وألفى الشاعر لديه العزاء بعد أن طرده المعلم كرشة من القهوة، بل حتى حميدة تهيبت الوقوع في الرذيلة بادئ الأمر رعاية لجناب السيد رضوان الحسيني «ما عساه أن يقول عنها»؛ فكان حقاً كما قال د. البوشي: «إذا كنت مريضاً فالمس السيد الحسيني يأتك الشفاء، وإذا كنت يائساً فطالع نور بدركك الرجاء أو محزوناً فاستمع إليه يبادرك الهناء».

ومركزية الجانب الديني في الرواية التي لا تظهر فقط في صورة السيد رضوان هو ما

العمل الروائي أكثر خطراً من بين ألوان الكتابة الفكرية

لم يتح لكثير من أبناء الصحوة الإسلامية الفرصة العادلة للنظر بموضوعية لأعمال محفوظ

يفتح الباب على مصراعيه حول الحكم السائد في زمن الصحوة الإسلامية على أعمال نجيب محفوظ في أنها محاربة للإسلام متهكمة من تشريعاته مستهزئة بعلمائه وشيوخه ورموزه؛ وهو ما يصدق عند زمرة الموضوعيين على بعض أعماله كـ«أولاد حارتنا»، وأعمال أخرى لكن يبدو أن خصومته السياسية للتيار الإسلامي آنذاك واستقطاب خصوم الفكر الإسلامي له هو الرائد لهذا الحكم المطلق لدى الأكثرية، الذي لم يتح الفرصة العادلة للنظر بموضوعية وتجرد إلى أعمال نجيب محفوظ فوقع الكثير منهم بشباك التعميم والاستعجال والنقل المتحيز.

ولعل هذا التكتل السياسي وضغط التيار الفكري هو الذي أوحى للدكتور أحمد فرج مثلاً، وهو من الكتّاب الإسلاميين زمن الصحوة، بقراءة متحيزة لـ«زقاق المدق»، جعلت الدين هامشياً في البناء الروائي، بل جعلت الرذيلة منتصرة على الدين؛ حيث رأى الكاتب أن محفوظاً تعمد إظهار الحاج رضوان غير جدير بالنظر في شؤون الدنيا، مثل زواج حميدة، وأن هذا هو رأي محفوظ العلماني المتواري وراء شخصية حميدة، ويتضح عندي على الأقل كقارئ للرواية أن هذا الرأي تنقصه الكثير من الدقة كما أوضحت فيما سلف.

محفوظ وحلم الحرية والعدل

فنجيب محفوظ كان يحلم بالحرية والعدل، ورأى في روايته «ابن فطومة» أن هذه القيم موجودة في الإسلام، وفي كلمته يوم تسلم «نوبل» على ما فيها ما قيل عنها فقد عبر عن انحيازه إلى الحضارة الإسلامية، وفي روايته الشهيرة «الحرافيش» يظهر بوضوح النبض الروحي الإسلامي لديه.

والعجيب أن محفوظاً يظهر بصورة الوديع صاحب القلب الكبير المتسامي على الخلاف في الرأي في جانب من الذاكرة الإسلامية، كما في مذكرات عميد الرواية الإسلامية نجيب الكيلاني، فقد مد محفوظ جسوراً من التعاون في الشلة الأدبية وهي الصالون الأدبي الذي كان يديره محفوظ ويجتمع فيه ثلاثة من الأدباء، منهم باكثير، والسحار، وغيرهما، وقد جاء ذكره في مذكرات الكيلاني عرفاناً باحتضانه له وحسن تعامله، بل إن أول من تنبأ بقلمه الموهوب هو سيد قطب، كان هذا إبان كتاباته الإسلامية وقبل انضمامه للحركة الإسلامية.

والإشعاع الخاص للجانب الديني في روايات محفوظ -وليس الضمور أو التجاهل كما يرى البعض- هو ما جعل بعض الباحثين يتلمسون صورة الشخصية الدينية في رواياته؛ فهذا مثلاً الباحث سالم الكوردي يبحث في «الشخصية الدينية في رواية نجيب محفوظ.. زقاق المدق أنموذجاً»، حيث وجد أن الشخصيات الدينية في عالم الرواية عند محفوظ تحمل قدراً من الثقافة يؤهلها لأن تؤدي دوراً مؤثراً في الفضاء الروائي.

فالكاتب في زقاق المدق وإن كان يصف من هو ضعيف الإيمان كالمعلم كرشة، وحميدة، وزيطة، ومن هو قوي الإيمان كرضوان، الحسيني، وعباس الحلو، والشيخ درويش؛ وهو ما يمثل طبيعة التدافع بين الخير والشر والتوازن الذي يشد خيوط الرواية ويشيد عليه بناؤها، إلا أن الدين المتماهي مع وتيرة أحداث الرواية هو بلسم الجراح وصوت العقل والحكمة، إليه تثوب النفس من فورة الحياة ومنه تنطلق يحدوها الأمل ويملؤها السلام النفسي والسعادة المأمولة.

وهذا الانعكاس للدين على النفس الإنسانية في تمثلاته في الفضاء الروائي ليس مثالاً بعيد المنال يداعب خيال الكاتب، إنما هو حقيقة مشاهدة ملموسة في البناء الروائي، والعجيب حقاً أن هذه الحياة الروحية النابضة بالآمال هي مخاض عمل واقعي شعت فيه النزعة المادية والعلاقات المتوترة والجبرية الصماء.

ما تقدم لا يجعل من محفوظ كاتباً إسلامياً صميماً، كما أنه لم يكن محارباً للإسلام متآمراً عليه في رواياته كما أشيع، ولكن ساعدنا أن ننظر إلى الشخصيات والأعمال بعين التجرد والموضوعية دون تحيز أو تأثر بأحكام مسبقة؛ فكل عمل إبداعي له ظروفه الخاصة من مثل نفسية الكاتب وطبيعة التحولات التي تعصف به، والزمن الذي ينضح بتقلباته.■

www.mugtama.com

سُبل تفعيل مبدأ الشورى في الشعوب الإسلامية

د. علي الصلابي
كاتب إسلامي ليبي

www.mugtama.com

لا بدّ من الرفض الجمعي لكلّ أنواع القوة في فرض الرأي، لكي تأخذ الشعوبُ حقها الطبيعي في اختيار الحاكم أو القائد، وفق آلية شورية وانتخاب صحيح. (الشورى، د. الصلاحات، ص 355).

يقول الشيخ محمد الغزالي: إنّي لا أعرفُ ديناً صبّ على المستبدين سوط عذاب، وأسقطَ اعتبارَهم، وأغرى الجماهيرَ بمناوأتهم والانتفاضَ عليهم كالإسلام. (الإسلام والاستبداد السياسي، ص 69).

ونحنُ من أنصار الكفاح والجهاد السلمي ضد الاستبداد والمظالم، ومع توعية الجماهير وتثقيفها لكي يرجع إليها حقها في اختيار مَنْ يقودها.

الدور الاجتماعي في تنمية الشورى:

من أهمّ الخطوات الأساسية في مفهوم الحِرَاك الاجتماعي التنشئةُ الاجتماعيةُ للفرد والأسرة، والعائلة الكبيرة، فمن القضايا المهمة للمجتمع إشاعةُ ثقافة الشورى في الأسرة والعائلة (الشورى، ص 359).

إنّ أصغر وحدات الأمة تكويناً وتأثيراً في ثقافتها السياسية هي بلا شك خلية الأسرة، التي يتلقى فيها الإنسانُ التوجيهات الأولى لالتزام المُثُل العليا في الطاعة والانضباط والتضحية وأداء الواجبات، والتسامح، والتعاون، والتشاور. (الشورى ومعاودة إخراج الأمة، ص 135).

فالأسرةُ في الرؤية الإسلامية نموذجٌ مصغر للأمة والدولة، تقابلُ القوامةُ فيها الإمامةَ أو الخلافةَ على مستوى الدولة، وتحكمُها الشريعةُ، وتُدار بالشورى، ويشبه عقد الزواج فيها عقد البيعة، ويتمُ اللجوءُ عند النزاع إلى الآليات نفسها التي يلجأ إليها في حلّ النزاع على مستوى الأمة (أي الصلح والتشاور والتحكيم).

فإذا أردنا مجتمعاً شورياً حقيقياً فلا بدّ أن نهتمّ بأساليب التربية الأسرية، ونقومها، حتى نسهمَ في توجيه النشء إلى السلوك الشوري السوي.

فالشورى على نطاق المجتمع في أُسره وعوائله تسبقُ العمل السياسي، وهي لا تأتي اعتباطاً أو نسخاً فورياً من حضارة إلى حضارة أخرى، بل هي عملية تراكمية تكاملية في الفكر والوجدان الشعبي والرسمي معاً، وهذا ما يشكّل قوى اجتماعية ضاغطة، وكمؤسسات المجتمع المدني وغيرها ضدّ أيّ تسلط فردي أو حزبي في المجتمع، فالشورى ليست عملية إلكترونية أو عضوية ارتجالية، أو هي نتاج عملية زرع في أنبوب اختبار، وتحت مراقبة الخبراء والعلماء والحكماء، وليس من الصحيح القولُ بأنّ الشعبَ غير مهيأ لقبول الشورى أو ليسوا أهلاً لذلك، أو هم كالخراف الضالة، التي جاء الحاكم ليقودها بمهاراته وقدراته الفائقة، أو أننا في حالة حرب وطوارئ وأحكام عرفية، ممّا يلزمُ إلغاء الشورى، لتنفردَ بالقرار جماعةٌ أو حاكمٌ، فكلُ هذا لا يصحُ شرعاً ولا قانوناً ولا عرفاً ولا عقلاً (الشورى، د. الصلاحات، ص 363)، فهناك تحدّ يلازمُ الشعبَ والجماهيرَ في إقرار الشورى في أنفسهم وعقولهم، كما كان يواجه الحاكم تحدي الإذعان والانصياع لرأي الجماهير، والإشكاليةُ هي في معرفة كيفية تحويل قيمة الشورى، كتوجه مؤثر على النُخَب الحاكمة إلى اختيار واعٍ قائم على بلورة خيارات اقتصادية وسياسية واجتماعية قوية متماسكة. (الشورى، د. الصلاحات، ص 363).

وعي سياسي للفرد والرعية والحاكم:

إن الأصل أن يكونَ الناسُ أو الرعيةُ على درجة عالية من الوعي والإدراك لأهميّة الشورى في تسيير حياتهم وخطورة الاستبداد، أو الحكم المطلق كما يسميه الشيخ محمد الغزالي في إيقاف تطوّرهم ونموهم، ولن تنموَ الشورى أو تتطوّرَ في ظلّ جهل الناس بها، أو بقيمها العليا (الشورى، د. الصلاحات، ص 364)، وكما يقول الكواكبي: الأمةُ التي لا تشعرُ كلُها أو أكثرُها بآلام الاستبداد لا تستحقُ الحرية. (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 140).

تفعيل المجتمع المدني والمؤسسات:

ويكون ذلك بجعل المال والتنمية والحركة الاقتصادية حرةً؛ لأنّ في هيمنة المؤسسة السياسية الرسمية عليها هيمنة على الجو الشوري أو الديمقراطي داخل الدولة، فإذا تحقق وجودُ مجتمع مدني قوي، فالنظامُ الشوري يفترضُ وجودَ مجتمع مدني، له بنية قوية، يرتبط بمجتمع سياسي متكامل، كلاهما مستقل بقدر الإمكان عن الدولة، باعتبارها السلطة التي تعمل باسم الأمة.

رفض القداسة عن الحكام:

الإسلام لا يقدّس الحكامَ أو الرؤساءَ أو أهواءَ الأمراء أو الولاة، وبعبارة أوضح وأعمّ: الإسلام لا يقدّسُ الأشخاصَ، أو أهواءَهم، فلا عبرةَ لذلك البتة، فالأصلُ في الشريعة أنّ المصالحَ المجتلبةَ شرعاً والمفاسدَ المستدفعةَ إنّما تُعتبر من حيثُ تقام الحياة الدنيا للحياة الآخرة، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية، حتى إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على كرامة منزلته كان يقول في حقّ تقديس الأشخاص والأفراد ولو كان هو ذاته: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، فإنّما أنا عبده، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه».

البقية ص 61

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

mugtama magazine

موقع

المجتمع

ليسَ أحد مِن صَحابة النبي ﷺ ذو سعةٍ إلا وأوْقف

وقفُك
يمهد الطريق..
نحو تحقيق الهدف

المساهمة:
- الأموال الموقوفة
- الوصايا والهبات
- أموال الصدقات
- ريع أوقاف أخرى

وقفية الإعلام الهادف

رسالتنا..

المساهمة في إنشاء منظومة إعلامية مهنية هادفة، ودعم ونشر الإعلام القيمي الأخلاقي المستمد من شريعتنا الإسلامية وأخلاق الصحابة رضي الله عنهم، وبث الروح الإيجابية بالمجتمع واستثمار الوقفية في قطاعات الطفل والأسرة والشباب والمرأة.

الرعايات الوقفية

رقم الحساب بيت التمويل الكويتي

011010626795

(IBAN)kw12KFHO 0000 0000 0001 1010626795

ويمكنك التبرع للوقفية عن طريق الإيداع المباشر في حساب الوقفية البنكي.

للتواصل

97271123 - 97228290

info@iwaqf.com